

# مَعَالِمُ الدِّينِ

(دروسٌ ميسرةٌ في أصولِ الدين)

تأليف

عبدالعزیز بن داخدا المطیری

المشرف العام على

معهد  
آفاق التيسير  
للتعليم عن بعد



حقوق الطبع محفوظة  
إلا ممن أراد طباعته لتوزيعه مجاناً

---



مركز الدراسات والبحوث  
جوال: ٠٥٠٥٩٤١١٩٩

---

<http://www.afaqattaiseer.com>

البريد الإلكتروني: [afaqtsr@gmail.com](mailto:afaqtsr@gmail.com)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَمَا بَعْدُ: فَإِنْ أَوْلَ مَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ تَعَلُّمُهُ مَا يَصِحُّ بِهِ دِينُهُ، وَيَسْلَمُ بِهِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ الْأَلِيمِ، وَيُنَالُ بِهِ رَحْمَتَهُ وَفَضْلَهُ الْعَظِيمَ.

وقد ضمنتُ هذا الكتابَ دروسًا مُيسرةً في بيانِ أصولِ الدينِ، حتى يَعْرِفَ طَالِبُ الْعِلْمِ مَبَانِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَمَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُسْلِمًا، وَيَعْرِفَ فَضْلَ الْإِسْلَامِ وَحُسْنَهُ، وَخَطَرَ الْكُفْرِ وَقُبْحَهُ، وَيَعْرِفَ مَا يَنْقُضُ إِسْلَامَ الْعَبْدِ وَيَنْقُضُهُ حَتَّى يَحْذَرَهُ وَيُحَذِّرَ مِنْهُ. وقد اقتصرْتُ في هذه الدروسِ على أهمِّ مُهمَّاتِ المسائلِ، وأوَّلَى مَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مَعْرِفَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ مِنْ مَسَائِلِ أُصُولِ الدِّينِ، لِتَكُونَ مَنْهَجًا لِلْمَبْتَدِئِينَ وَتَذْكَرَةً لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَعُدَّةً لِلْمُعَلِّمِينَ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ هَذَا الْعَمَلَ بِقَبُولِ حَسَنِ، وَأَنْ يُبَارِكَ فِيهِ، وَيَنْفَعَ بِهِ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.



## معنى الشهادتين

**الشهادتان هما:** شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله. وهما أصل دين الإسلام وركنهُ الأول الذي به يدخلُ العبدُ في دين الإسلام، فمن لم يشهد الشهادتين فليس بمُسلم. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». متفق عليه. فكان أول ما يجب على العبد تعلمه من دين الإسلام هو أصله الأول، فيعرف معنى الشهادتين وأحكامهما.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن داعياً ومعلماً قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قوماً من أهل الكتابِ فَادْعُهُم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وَأني رسول الله؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِيَّةٍ».. الحديث، رواه مسلم من حديث ابن عباس.

ورواه البخاري أيضاً ولفظه: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله» وبيان ذلك أيضاً في حديث جبريل الطويل الذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن مراتب الدين: الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كما في آخر الحديث: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». فأول ما يجب تعلمه من أمور الدين ما تضمنه حديث جبريل، وأول مرتبة من مراتب الدين مرتبة الإسلام، وأول ركن من أركان الإسلام: الشهادتان.



## الدرس الأول: بيان معنى شهادة أن لا إله إلا الله

(لا إله إلا الله) أي لا مَعْبُودَ بحقٍ إلا اللهُ.

**والإلهُ: هو المألوهُ، أي المعبودُ.**

فكلُّ ما يُعْبَدُ من دونِ اللهِ فعبادته باطلةٌ، ومَنْ عبدَ غيرَ اللهِ فهو مُشْرِكٌ كافرٌ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ، بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فلا يجوزُ أن يُعْبَدَ مع اللهُ أحدٌ، لا نبيٌّ مرسلٌ، ولا ملكٌ مقربٌ، ولا وليٌّ من الأولياءِ الصالحين، ولا شجرٌ ولا حجرٌ، ولا غيرُ ذلك؛ لأنَّ العبادةَ حقٌّ لله وحده، خَلَقْنَا لأجلِها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

وقال: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وهذا هو معنى التَّوْحِيدِ، وهو إفْرَادُ اللهِ بالعبادةِ، فلا نَعْبُدُ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له.

وبهذا التوحيدِ الذي هو معنى (لا إله إلا الله) بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ كلَّهم؛ قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٢٥].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد قصَّ اللهُ علينا في كتابه الكريم أنباء الرُّسلِ مع أقوامهم ، وبَيَّن لنا أنَّ أوَّلَ دعوة الرُّسلِ كانت إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ ، وبَيَّن لنا عُقبَى المؤمنين الذين استجابوا لدعوة المرسلين ؛ وعاقبة الذين كذَّبوا الرُّسلَ وأشركوا بالله ما لم يُنزَّل به سلطاناً .

قال اللهُ تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِندِهِ عِزٌّ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩] .

وقال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِندِهِ عِزٌّ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥] .

وقال : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۖ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِندِهِ عِزٌّ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣] .

وقال : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِندِهِ عِزٌّ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥] .

وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] .

وقال : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَا بَيْتِكَ إِبراهيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣] .

وقال يوسف عليه السلام : ﴿ يَا أَرَبَّ إِنِّي مُتَّقِيتُكَ خَيْرًا أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ [يوسف: ٣٩] .



وكذلك كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧ - ١٠٨].

وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوة قومه بمكة إلى التوحيد، فدعاهم إلى أن يقولوا: (لا إله إلا الله) ويجتنبوا عبادة الأصنام، فاستكبر أكثرهم وأبوا أن يُجيبوه إلى كلمة التوحيد؛ فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ آيُنَا لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦]. فردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الصافات: ٣٧].

فكلمة التوحيد هي كلمة الحق التي دعا إليها المرسلون قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وهي دعوة رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وقد فهم كفار قريش أن الدعوة إلى التوحيد تعني ترك عبادة ما يعبدون من دون الله تعالى؛ فلا يتحقق التوحيد إلا باجتناب الشرك، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) فمن قال: (لا إله إلا الله) عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله» متفق عليه.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم برسائله إلى الملوك دعاهم إلى توحيد الله عز وجل؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى هرقل ملك الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من أتبع الهدى أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرَكَ مرتين، فإن تَوَلَّيتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].. متفق عليه.

وَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ، وَإِلَى الْمُقَوْسَ مَلِكِ الْقِبْطِ، وَإِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَإِلَى جَيْفَرٍ وَعِيَاذِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ بَعْمَانَ، وَإِلَى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْيَمَامَةِ، وَإِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى بِهَجَرَ، وَإِلَى ابْنِ أَبِي شَمِيرِ الْغَسَّانِيِّ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُلُوكُ فِي زَمَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كلِّ جَبَّارٍ (أي مَلِكٍ) يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معادًا إلى اليمَن قال له: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ».

فتوحيد الله تعالى هو مفتاح الدخول في الإسلام، وبدونه لا يكون المرء مسلمًا، وإذا ارتكب العبد ما ينقض هذا التوحيد فهو كافر مشرك خارج عن ملة الإسلام.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»

قال معاذ: الله ورسوله أعلم.

قال: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»

ثم قال له: يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟

قال معاذ: الله ورسوله أعلم.

قال: «حقُّ العبادِ على اللهِ إذا فعلوا ذلك أن لا يُعبدَ بهم». متفق عليه.  
فإذا شهدَ العبدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ؛ فقد شهدَ ببطلانِ ما يُعبدُ من دونِ اللهِ عز  
وجل، وشهدَ على نفسه أن لا يُعبدَ إلا اللهُ عز وجل مُخلصاً له الدين.

وهذا هو الإسلامُ الذي أمر اللهُ به، قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ١٦٦].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا  
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٠٤] وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا  
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٥] وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ  
الظَّالِمِينَ﴾ [١٠٦] [يونس: ١٠٤ - ١٠٦].

### الخلاصة:

- معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله.
- لا يتحقق التوحيد إلا باجتناب الشرك.
- الغاية التي خلقنا من أجلها: عبادة الله وحده لا شريك له.
- من عبد غير الله فهو مشرك كافر.
- كلُّ رسولٍ دعا قومه إلى التوحيد واجتناب الشرك.

• أَصْلُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى التَّوْحِيدِ، فَبَدَأَ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ تَكُونَ أَوَّلُ دَعْوَتِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ.

• التَّوْحِيدُ هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ.

• مَنْ لَمْ يُوحِدِ اللَّهَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ.



## الدرس الثاني: بيان معنى شهادة أن محمداً رسول الله

( صلى الله عليه وسلم )

شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي الإيمان بأن الله تعالى أرسل نبيه محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب رسولاً إلى الجن والإنس جميعاً يأمرهم بعبادة الله وحده، واجتناب ما يُعبد من دون الله عز وجل، ويُبين لهم شرائع الدين. وتقتضي الإيمان بأنه عبد الله ورسوله، ليس له حق في العبادة، ولا يجوز أن نُعلو في مدحه؛ فنصفه بصفات هي من خصائص الله جل وعلا. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده؛ فقولوا: عبد الله ورسوله». رواه البخاري.

### وشهادة أن محمداً رسول الله تستلزم ثلاثة أمور عظيمة هي:

- ١: محبته صلى الله عليه وسلم، بل يجب علينا أن نُقدم محبته صلى الله عليه وسلم على محبة النفس والأهل والولد.
- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». متفق عليه.
- ٢: تصديق ما أخبر به من أمور الغيب وغيره، فكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حقٌّ وصدقٌ.
- ٣: طاعته صلى الله عليه وسلم، وذلك بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وشهادة أن مُحَمَّدًا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الدين، بل لا يدخلُ العبدُ في الإسلامِ حتى يشهدَ أن مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإذا ارتكَبَ العبدُ ما يَنْقُضُ هذه الشهادةَ فليسَ بمُسلمٍ، بل هو كافرٌ مُرتدٌّ عن دينِ الإسلامِ.

### ﴿ وَمِمَّا يَنْقُضُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ: ﴾

١: بُغْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُبُّهُ وَالاسْتِهْزَاءُ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

٢: تَكْذِيبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالشَّكُّ فِي صِدْقِهِ؛ لِأَنَّ كَلَامَ الْمُكَذِّبِ وَالشَّكِّ غَيْرُ مُصَدِّقٍ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِهِ.

٣: الإِعْرَاضُ عَنِ طَاعَةِ الرَّسُولِ؛ فَيَرَى أَنَهَا لَا تَلْزِمُهُ، أَوْ يُعْرِضُ عَنْهَا إِعْرَاضًا مُطْلَقًا؛ فَلَا يُبَالِي بِأَوَامِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَوَاهِيهِ. أَمَّا مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَفْعَلُ بَعْضَ الْمَعَاصِي مِنْ غَيْرِ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ؛ فَهَذَا مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُكْفَرُهُ بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِ، بَلْ نَرَجُو لَهُ مِنَ اللَّهِ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَنَخْشَى عَلَيْهِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ بِسَبَبِ عَصِيَانِهِ.

وَكُلُّ مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ النِّوَاقِضِ الَّتِي تُنْقِضُ شَهَادَةَ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ بِلِسَانِهِ؛ فَحَالُهُ كَحَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

فلا تصحُّ هذه الشَّهادةُ من عبدٍ حتى يقومَ بمقتضاها من المحبَّةِ والتصديقِ والطاعةِ.

وهذه الشَّهادةُ ليستُ كلمةً تُقالُ فحسبُ؛ بل هي منهاجُ حياةِ المسلم، وعليها مدارُ عمَلِهِ، وبتحقيقها تتحقَّقُ نجاته وسعادته.

والله تعالى لا يقبلُ من عبدٍ عملاً حتى يكونَ خالصاً له جل وعلا، وصواباً على سُنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالإخلاصُ هو مُقتضى شهادَةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ.

والمُتَابَعَةُ هي مُقتضى شهادَةِ أن مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

والعبدُ لا يكونُ مُتبعاً للهدى حتى يكونَ مخلصاً لله متبعاً سُنَّةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

وكلُّ عمَلٍ ليس على سُنَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فهو باطلٌ مردودٌ؛ لقولِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه مُسلمٌ من حديثِ عائشةَ رضي الله عنها.

وفي صحيح مُسلمٍ أيضاً من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقولُ في حُطْبَتِهِ: «أما بعدُ، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدى هدىُّ مُحَمَّدٍ، وشرُّ الأمورِ مُحدثاتها، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ».

والمبتدعُ عاصٍ للرسولِ صلى الله عليه وسلم غيرُ مُتبعٍ للهدى، وهو ضالٌّ بيدعته، **والبدعُ على قسمين:**

- يدعٌ مُكفِّرةٌ
- ويدعٌ مُفسِّقةٌ

**فالبدعُ المُكفِّرةُ هي التي تتضمَّن ارتكابَ ناقضٍ من نواقضِ الإسلامِ ؛ إما بصرفِ**  
 عبادةٍ لغيرِ الله عز وجل ، أو تكذيبِ الله ورسوله ، أو غير ذلك من النواقض ،  
 وصاحبُها كافرٌ مرتدٌّ عن دينِ الإسلامِ ، ومثالُها: دَعْوَى بعضِ الفرقِ أن القرآنَ  
 ناقصٌ أو مُحَرَّفٌ ، ودَعْوَى بعضِ الفرقِ أن بعضَ مُعظِّمِهِم يعلمون العَيْبَ .  
**والبدعُ المُفسِّقةُ هي التي لا تتضمَّن ارتكابَ ناقضٍ من نواقضِ الإسلامِ ،**  
 ومثالُها: تَخْصِصُ بعضِ الأُمَكَّةِ والأزمنةِ لعباداتٍ لم يَرِدْ تَخْصِصُها بها كالموالِدِ  
 النَّبَوِيَّةِ .

• وهَدْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أَحْسَنُ الْهَدْيِ ؛ وَكَمَالُ الْعَبْدِ وَفَلَاحُهُ  
 إِنَّمَا هُوَ عَلَى قَدْرِ اتِّبَاعِهِ لِلْهَدْيِ النَّبَوِيِّ ؛ فَكَلِمَا كَانَ الْعَبْدُ أَحْسَنَ اتِّبَاعًا كَانَ أَكْبَرَ ثَوَابًا  
 وَأَكْرَمَ حَالًا وَمَالًا ، وَأَقْرَبَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الشَّرِّ وَالْآثَامِ وَعُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ الْمُتْرَبَّةِ  
 عَلَى مَخَالَفَةِ هَدْيِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَأْمُرْ إِلَّا بِمَا هُوَ خَيْرٌ لِلْعَبْدِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَلَمْ  
 يَنْهَ إِلَّا عَمَّا فِيهِ مَفْسَدَةٌ وَمَضْرَّةٌ ؛ وَقَدْ حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ،  
 فَمَنْ كَانَ ذَا يَقِينٍ بِصِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَ هَدْيَهُ وَاجْتَنَبَ الشَّهَوَاتِ  
 الْمُحْرَمَةَ وَإِنْ كَانَتْ تَهْوَاهَا نَفْسُهُ ، وَصَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ الْمُحْتَمَلَةِ لِمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِ  
 الْعَوَاقِبِ ؛ فَسَلِمَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَفَازَ بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ .

• وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَكَبَ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ مِنَ  
 الْمُحْرَمَاتِ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَى ذَنْبِهِ بِعُقُوبَاتٍ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ .

وقد قال الله تعالى: ﴿ فَيَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] .



فَعَوَّلُ المعصية قد يَجُرُّ إلى فتنَةٍ في الدين لا يَثْبُتُ فيها العبدُ فَيُضِلُّ وَيَهْلِكُ، وقد يُصِيبُهُ على ذنبه عذابٌ أليمٌ في الدنيا أو في قَبْرِه أو يوم القيامة.

• وأما المُتَّبِعُ لهَدْيِ النبي صلى الله عليه وسلم فهو في أمانٍ وسَكِينَةٍ وطُمَأْنِينَةٍ، لا يَخَافُ ولا يَحْزَنُ، ولا يَضِلُّ ولا يَشْقَى؛ لأنه قد سَلَكَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ من المخاوف والأحزان والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وقد فرضَ اللهُ على رسوله تبليغَ الرسالة، فبلَّغها كما أمر، قال اللهُ تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٢٦٧].

وأوجِبَ اللهُ تعالى علينا طاعته فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].

والرسولُ قد حُمِّلَ أمانةَ تبليغِ الرسالة، فأدّاها كما أراد اللهُ، وقد سألَ الناسَ في الجَمْعِ العظيمِ في حَجَّةِ الوداعِ: «ألا هل بَلَّغْتُ؟»، فقالوا: نعم.

فقال: «اللهم اشهد».

ونحن نَشْهَدُ أنه قد بَلَّغَ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصَحَ الأُمَّةَ، وجاهدَ في اللهُ حقَّ جهاده حتى أتاه اليقينُ.

ونحن حُمَّلنا أمانةَ اتباعِ الرسولِ ظاهرًا وباطنًا؛ فمَن وَفَّى بهذه الأمانةِ أَفْلَحَ  
وَنَجَا، وفازَ بالثوابِ العظيمِ، ومَن خانَ هذه الأمانةَ خَسِرَ خُسْرًا عَظِيمًا، وقد قال  
اللهُ تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ﴾ (الأَنْفَالُ: ٢٧).



## الدرس الثالث: بيانُ وجوبِ طاعةِ اللهِ ورسوله

طاعةُ اللهِ ورسوله أصلٌ من أصولِ الدين، ولا يكونُ العبدُ مسلماً حتى ينقادَ لأوامرِ اللهِ ورسوله، ويعتقدَ وجوبَ طاعةِ اللهِ ورسوله، وأنَّ مَنْ أطاعَ اللهَ ورسوله فاز برِضوانِ اللهِ ورحمتهِ وفضلهِ العظيم، ونَجَا من العذابِ الأليم، ومَنْ عصَى وتولَّى حَسِرَ الحُسْرانَ المُبين، وعرضَ نفسه لسَخَطِ اللهِ وعقابه.

ومن زعمَ أنه يسعُه الخروجُ عن طاعةِ اللهِ ورسوله فهو غيرُ مسلمٍ.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۝٣٣﴾

[محمد: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝١٤﴾

[النساء: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٢٣)

[الجن: ٢٣].

وقال: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٤٧].

فدلّت هذه الآياتُ على أن طاعة الله ورسوله واجبةٌ، وأن الله تعالى قد وعد من أطاعه ورسوله الفضلَ العظيمَ في الدنيا والآخرة، وتوعد من عصاه ورسوله بالعذاب الأليم.

والطاعةُ تكون بامثالِ الأمرِ واجتنابِ النهي، وهذه هي حقيقة الدين: التَّعَبُّدُ لله تعالى بفعلِ أوامره واجتنابِ نواهيه.

وقد يسّر الله لنا الدينَ، ولم يُكلّفنا إلا ما نستطيعُ، قال تعالى: ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا

أَسْطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ١٧٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ». رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، متفق عليه.

**والأوامرُ التي أمر الله بها وأمر بها رسوله على ثلاثِ درجاتٍ:**

**الدَّرَجَةُ الْأُولَى:** ما يلزمُ منه البقاءُ على دين الإسلام، وذلك بطاعته في توحيد

الله جل وعلا، والكفر بالطاغوت، واجتنابِ نواقض الإسلام.

وَمَنْ خَالَفَ فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَأَشْرَكَ بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَوْ ارْتَكَبَ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ  
الإسلام كتكذيب الله ورسوله أو الاستهزاء بشيء من دين الله عز وجل ، ونحو ذلك  
من النواقض فهو كافرٌ خارجٌ عن ملة الإسلام.

**الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:** مَا يَسْلُمُ بِهِ الْعَبْدُ مِنَ الْعَذَابِ، وَهُوَ أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ، وَاجْتِنَابُ  
المُحَرَّمَاتِ، فَمَنْ أَدَّى هَذِهِ الدَّرَجَةَ فَهُوَ نَاجٍ مِنَ الْعَذَابِ بِإِذْنِ اللَّهِ، مَوْعُودٌ بِالثَّوَابِ  
العظيم على طاعته، وهذه درجة عباد الله المتقين.

**الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ:** أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ،  
وهذه درجة الكمال للعباد، وأصحابها من أهل الإحسان الموعودين بالدرجات  
العُلى، نسأل الله من فضله.

والله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم علينا نعمة الإسلام، كما قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فدين الإسلام كامل، وأحكام الشريعة شاملة لجميع شئوننا، فلا نقص فيها،  
ولا اختلاف، ولا تناقض، بل هي شريعة كاملة سَمِحَةٌ ميسرة صالحة لكل زمانٍ  
ومكانٍ، ومُهَيِّمَةٌ على جميع أحوال العباد.

فالذي يُطِيع الله ورسوله مُهْتَدٍ لِلتِّي هِيَ أَقْوَمُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ

تعالى قال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتِّي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ١٩]، فلا يُمكنُ أن ينال العبدُ  
أمرًا أفضلَ له بمعصية الله عز وجل ومخالفة كتابه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ»

فلا هَدْيٍ أَحْسَنُ مِنْ هَدْيِهِ، وَلَا يَمْكُنُ أَنْ يَنَالَ الْعَبْدُ أَمْرًا أَفْضَلَ لَهُ بِمُخَالَفَةِ هَدْيِي

النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كمال العبد ونجاته وسعادته ومبْلَغُ هِدَايَتِهِ عَلَى قَدْرِ  
اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ  
بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فَمَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ ضَلَّ.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي أَيِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَهُوَ فَاسِقٌ بِمَعْصِيَتِهِ ضَالٌّ فِي  
ذَلِكَ الْأَمْرِ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ تَحْقِيقَ مَصْلَحَةٍ أَوْ دَرَاءَ مَفْسَدَةٍ؛ فَإِنَّ الْمَصَالِحَ لَا تَحَقِّقُ  
بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْمَفَاسِدَ لَا تُدْرَأُ بِالتَّعَرُّضِ لِسَخَطِ اللَّهِ.

وكلُّ مَنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَزَيَّنَهَا لِلنَّاسِ فَهُوَ شَيْطَانٌ؛ سِوَاءً فِي ذَلِكَ

شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا

طاعة لمخلوق في معصية الله»، رواه أحمد ومسلم.

وهذا يشمل جميع مَنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي أُمُورِ الْعَقِيدَةِ أَوْ الْعِبَادَاتِ أَوْ الْمَعَامَلَاتِ

أَوْ غَيْرِهَا مِنْ شُئُونِ الْعِبَادِ.

وكلُّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ بِدْعَةٍ وَمَنَهِجٍ غَيْرِ مَنَهِجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ ضَالٌّ

مُضِلٌّ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأأنعام: ١٥٣].



## الدرس الرابع: بيان فضل التوحيد

**التوحيد هو:** إخلاص الدين لله جل وعلا، وهو شرط لدخول العبد في الإسلام.

وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، ومن لم يوحد الله فليس بمسلم، وإن ادعى الإسلام ونطق بشهادة التوحيد بلسانه؛ فلا تصح الشهادة منه حتى يعمل بموجبها، وذلك بأن يخلص الدين لله عز وجل، ويجتنب عبادة ما يُعبد من دون الله، ويتبرأ من الشرك وأهله.

قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١٣٦﴾﴾ [النحل: ١٣٦].

**١: فأعظم فضائل التوحيد** أنه أصل دين الإسلام، فلا يصح دخول العبد في الإسلام إلا بالتوحيد.

وثواب الموحّد أعظم الثواب: وهو رضوان الله عز وجل، والنجاة من النار، ودخول الجنة، ورؤية الله تبارك وتعالى.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النَّارِ». رواه البخاري.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»، متفق عليه.

فالمؤمن الموحّد قد وَعَدَهُ اللَّهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ ارْتَكَبَ مِنَ الْمَعَاصِي مَا ارْتَكَبَ، فَإِنَّهُ قَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَقَدْ يُعَذِّبُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي قَبْرِهِ أَوْ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ فِي النَّارِ ثُمَّ يَكُونُ مَأْلَهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا الْمَشْرِكُ فَإِنَّ عِقُوبَتَهُ أَعْظَمُ الْعِقُوبَاتِ: وَهِيَ غَضَبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَقْتُهُ وَالْخُلُودُ الْأَبَدِيُّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَالْحِرْمَانُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالْحِرْمَانُ مِنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين: ١٥ -

١٦].

والله تعالى لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ، وَلَا يَعْفُو عَنِ الْمُشْرِكِينَ، بَلْ أَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الْمُقِيمَ إِذَا مَاتُوا عَلَى الشُّرْكِ وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ صَلَّى صَلًّا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ [النساء: ١١٦].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ» ) وقلت أنا: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدَاءً دَخَلَ الْجَنَّةَ. رواه البخاري.



والشركُ معناه أن تعبدَ مع الله أحداً غيره؛ فتجعلهُ شريكاً لله في العبادة، ومن أشركَ مع الله أحداً حبطَ عمله وكان من الخاسرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

فمن أعظم فضائل التوحيد: النجاة من العقاب الذي أعدّه الله للمشركين.

**٢: ومن فضائل التوحيد:** أنه شرطٌ لقبول الأعمال، فكلُّ أعمالِ المشرك غيرُ مقبولة، وكلُّ دينٍ غيرِ دينِ الإسلام غيرُ مقبولٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال في الكفار: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

[الفرقان: ٢٣].

فعملُ المشرك حابطٌ مردودٌ غيرُ مقبولٍ؛ لأن الله تعالى لا يقبلُ من مشركٍ عملاً. وعملُ المؤمنِ الموحدِ مقبولٌ وإن كان قليلاً، بل يُضاعفه الله له أضعافاً كثيرة.

**٣: ومن فضائل التوحيد** ما يجده المؤمنُ الموحدُ من سَكينةِ النفسِ وطمأنينةِ القلب، ذلك أنَّ الموحدَ يدعو رباً واحداً سميعاً بصيراً عليماً قديراً رءوفاً رحيماً، بيده الملكُ كله، وبيده النَّفْعُ والضَّرُّ، لا إلهَ إلا هو، فيعبده ويتوكلُ عليه، ويرجو رحمته ويخشى عذابه، ويتبع رضوانه ويتقلبُ في فضله ورحمته، فهو مطمئنُ القلبِ بذكرِ الله، غنيُّ بالله، عزيزٌ بالله، متوكلٌ على الله، لا يخافُ ولا يحزنُ، ولا يضلُّ ولا يشقى.

وأما المشركُ فيدعو من دونِ الله ما لا يضرُّه ولا ينفعه، حائرٌ قلبه بين أربابه الذين يدعوه من دونِ الله، وهم عن دُعائه غافلون.

قال الله تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) ﴿يوسف: ١٣٩﴾.

وقال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ

يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) ﴿الزمر: ٢٩﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ

عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (٥) ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٦) ﴿الأحقاف: ٥ - ٦﴾.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿الأنعام: ٨٢﴾.

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم في هذه الآية بالشرك، واستدل بقوله

تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿القمان: ١٣﴾.

٤: **وَمِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ** أَنَّهُ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَبْدِ، وَمَا

يَتَّبَعُهَا مِنْ بَرَكَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: مَغْفَرَةُ الذُّنُوبِ، وَتَفْرِيجُ الْكُرُوبِ، وَمُضَاعَفَةُ

الْحَسَنَاتِ، وَرِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ، وَالْحِفْظُ مِنَ الشَّرِّ وَالْآفَاتِ، وَرَدُّ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ،

وَزَوَالُ الْهَمِّ وَالْغُومِ، وَحُصُولُ النَّعْمِ وَالْبَرَكَاتِ، وَانْدِفَاعُ النَّقْمِ وَالْعُقُوبَاتِ،

والتَّحَرُّرُ مِنَ رِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْعُبُودِيَّةِ لِلخَلْقِ، وَدَوْقُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَلَذَّةِ

الْإِخْلَاصِ، وَالشُّوقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ، وَالخُرُوجُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَيَخْرُجُ مِنْ

ظُلْمَةِ الشِّرْكِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزَّةِ الطَّاعَةِ، وَمِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ

إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، وَمِنْ حَيْرَةِ الشَّكِّ إِلَى بَرْدِ الْيَقِينِ، وَمِنْ سَبْلِ الضَّلَالَةِ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ

المستقيم.

**فصل:** والمسلمون يتفاضلون في تحقيق التوحيد تفاضلاً كبيراً، وكلما كان العبد أعظم إخلاصاً لله جل وعلا كان نصيبه من فضائل التوحيد أعظم، فيزداد نصيبه من رضوان الله عز وجل وولايته وفضله ورحمته وبركاته وثوابه العظيم في الدنيا والآخرة.

وعلى قدر إخلاصه يكون تخلصه من تسلط الشيطان وإيذائه؛ كما قال الله تعالى في بيان قسم الشيطان أن يُغوي بني آدم: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾  
[الحجر: ٣٩ - ٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾  
[النحل: ٩٨ - ١٠٠].

ومن بلغ درجة الإحسان في التوحيد فخلصه من شوائب الشرك الأكبر والأصغر وعبد الله كأنه يراه، دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ونال الدرجات العلى من الجنة، نسأل الله من فضله.





## الدرس الخامس: بيان معنى دين الإسلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿فَالْتَهُمُوا إِلَهًا وَاحِدًا فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ مَا أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

**والإسلامُ معناه:** إخلاص الدين لله عز وجل والانقياد لأوامره وأحكامه.

وهو عقيدةٌ وشرعيةٌ؛ فالعقيدة مبناهَا على العلم الصحيح، والشرعية أحكامٌ

يَجِبُ على العبدِ امتثالها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

**فلا يكونُ العبدُ مسلماً حتى يجمعَ أمرين:**

**الأمر الأول:** إخلاص الدين لله عز وجل؛ فَيُوحَدُ اللهُ وَيَجْتَنِبُ الشُّرْكَ.

**الأمر الثاني:** الانقياد لله تعالى، بامتثالِ أوامره واجتنابِ نواهيه.

فَمَنْ وَحَدَ اللهُ وَانْقَادَ لأوامره فهو مُسْلِمٌ.

وبهذا تُعْرَفُ أن المشركَ غيرُ مسلمٍ؛ لأنه لم يُخْلِصِ الدينَ لله عز وجل.

والمستكبرُ عن عبادةِ الله غيرُ مسلمٍ؛ لأنه مُمْتَنِعٌ غيرُ مُنْقَادٍ لأوامرِ الله جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٢) [النساء: ١٧٢ - ١٧٣].

**فصل:** والمسلمون يتفاضلون في حسن إسلامهم بتفاضلهم في الإخلاص، وحسن الانقياد، فهُم على **مراتب الدين الثلاثة** التي بيَّنها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الطَّوِيلِ، **وهي:**

١: **مرتبة الإسلام.**

٢: **مرتبة الإيمان.**

٣: **مرتبة الإحسان.**

وأفضل هذه المراتب مرتبة الإحسان، ثم مرتبة الإيمان، ثم مرتبة الإسلام. فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا.

وأركان الإسلام خمسةٌ كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، رواه أحمد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. **فصل:** والمؤمنون يتفاضلون في إيمانهم فبعضهم أكثر إيمانًا من بعضٍ؛ لأنَّ الإيمانَ تصديقٌ بالقلِّبِ، وقولٌ باللسانِ، وعملٌ بالجوارحِ، يزيدُ وينقصُ.

وكلما كان العبدُ أعظمَ تصديقاً وأحسنَ قولاً وعملاً كان إيمانه أعظمَ. وإذا فعل العبدُ المعصيةَ نقصَ من إيمانه؛ فإذا تاب وأصلحَ تابَ الله عليه. واستكمالُ الإيمانِ وصَفَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ». رواه أبو داود وغيره من حديث أبي أمامة الباهليِّ رضي الله عنه.

والحُبُّ لله أعمُّ من الحُبِّ في الله، فهو يشمَلُ مَحَبَّةَ كُلِّ ما يُحِبُّ اللهُ جل وعلا من الأشخاصِ والأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ والمقاصدِ والأخلاقِ والأُمُكَّةِ والأزمنةِ وغيرها.

وكذلك العطاءُ لله أعمُّ من أن يكونَ المرادُ به عطاءَ المالِ، بل هو شاملٌ لكلِّ ما يُعطى من مالٍ وجاهٍ وعِلْمٍ وجُهدٍ ووقْتٍ، وكذلك المنعُ.

فَمَنْ كان حُبُه لله، وبُغْضُه لله، وعطاؤُه لله، ومنعُه لله، فهو مؤمنٌ مُستكملٌ الإيمانِ؛ نسألُ الله تعالى من فضله.

**فصل:** وأصولُ الإيمانِ سِتَّةٌ، بيَّنها النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «الإيمانُ أن تُؤْمِنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ وتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». وهذه الأصولُ يَجِبُ على كلِّ مسلمٍ الإيمانُ بها، ومَنْ كَفَرَ بأصلٍ منها فهو كافرٌ غيرُ مُسلمٍ.

والإيمانُ له شُعَبٌ تَتَفَرَّعُ عن هذه الأصولِ كما تَتَفَرَّعُ الأغصانُ من الشَّجَرَةِ، وكلما كان العبدُ أكثرَ أخذًا بِجِصَالِ الإيمانِ وأعمالِهِ كانَ أكثرَ إيمانًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمانُ يَضَعُ وَسَبْعُونَ أَوْ يَضَعُ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَدْيِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، رواه مسلم.

فَشُعِبُ الْإِيمَانِ هِيَ خِصَالُهُ وَأَجْزَاؤُهُ، وَمِنْهَا قَلْبِيٌّ وَقَوْلِيٌّ وَعَمَلِيٌّ، وَقَدْ مَثَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ نَوْعٍ بِمَثَالٍ: فَقَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَى عَمَلٌ، وَالْحَيَاءُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ.

وَقَدْ يَجْمَعُ الْعَبْدُ شُعْبًا مِنَ الْإِيمَانِ وَشُعْبًا مِنَ النِّفَاقِ فَيَكُونُ فِيهِ بَعْضُ خِصَالِ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهَا كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهَا خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا؛ إِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

**فصل:** وَالْإِحْسَانُ بَيْنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَقَدْ خَلَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى لِيَبْلُونَا أَيُّنَا أَحْسَنُ عَمَلًا؛ وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ مِنْ مَقَاصِدِ خَلْقِهِ إِيَانَا أَنْ يَبْلُونَا أَيُّنَا أَحْسَنُ عَمَلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك: ٢٧]، قَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أَي أَخْلَصَهُ وَأَصُوبَهُ. فَالْعَمَلُ لَا يَكُونُ حَسَنًا حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَصَوَابًا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَاتَّبَاعُ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْصِمُ الْعَبْدَ مِنَ الْغُلُوِّ وَالتَّفْرِيطِ. وَبِهَذَا تَعَلَّمَ أَنَّ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِحْسَانِ: الشُّرْكَ وَالْبِدْعَةَ وَالْغُلُوَّ وَالتَّفْرِيطَ. فَالْمُشْرِكُ مُسِيءٌ غَيْرُ مُحْسِنٍ، وَكَذَلِكَ الْمُبْتَدِعُ وَالْمُفْرِطُ.



## والإحسانُ على درجتين:

الإحسانُ الواجبُ: وهو أداءُ العباداتِ الواجبةِ بإخلاصٍ ومتابعةٍ بلا غلوٍّ ولا تفريطٍ.

والإحسانُ المستحبُّ: وهو التَّقَرُّبُ إلى الله تعالى بالنوافلِ، وتكْميلُ مستحباتِ العباداتِ وآدابها، والتَّورُّعُ عن المُشْتَبِهَاتِ والمَكْرُوهَاتِ؛ فَيَعْبُدُ اللهَ كأنه يَرَاهُ؛ فَيَجْتَهِدُ في أداءِ العباداتِ على أحسنِ وجوهها بما يَتيسَّرُ له؛ فلا يُكَلِّفُ نفسه ما لا يُطِيقُ، ولا يُفَرِّطُ بتركِ ما يَتيسَّرُ له من العباداتِ التي تُقَرِّبه إلى الله تعالى.

والإحسانُ يَكُونُ في كلِّ عِبَادَةٍ بِحَسَبِهَا، وَيَجْمَعُ ذلكَ: قُوَّةَ الإِخْلَاصِ وَحُسْنَ اتِّبَاعِ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ:

● فإِحْسَانُ الوُضُوءِ يَكُونُ بِإِسْبَاغِهِ وتكْميلِ فروضه وآدابه وعدمِ مُجَاوِزَةِ الحَدِّ المَشْرُوعِ مِنَ الغَسَلَاتِ.

● وإِحْسَانُ الصَّلَاةِ يَكُونُ بِإِقَامَتِهَا وَأَدَائِهَا فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا بِخُشُوعٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ، وَيُصَلِّيُهَا صَلَاةً مُوَدَّعٍ، فَيُكَمِّلُ فُرُوضَهَا وَسُنَنَهَا كَأَنه يَرَى اللهُ عِزَّ وَجَلَّ.

● وإِحْسَانُ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ مُتَقَرِّبًا إِلَى اللهِ عِزَّ وَجَلَّ يَرْجُو رَحْمَتَهُ وَيَخْشَى عَذَابَهُ، لَا يُرِيدُ مِمَّنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَا يُتْبِعُ نَفَقَتَهُ مَنًّا وَلَا أَدَى، وَيَتَحَرَّى إِخْرَاجَ الطَّيِّبِ مِنَ المَالِ، فَلَا يُخْرِجُ رَدِيئَهُ وَمَا تَعَاْفَهُ النَّفْسُ، وَلَا يَمْطُلُ بِصَدَقَتِهِ وَلَا يُعَسِّرُ عَلَى المُحْتَاجِ فِي أَخْذِهَا، وَلَا يَتَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَا يُسْمَعُ بِنَفَقَتِهِ وَلَا يُرَائِي بِهَا.

وهكذا في سائرِ العباداتِ والمعاملاتِ؛ يَنْبَغِي للعَبْدِ أَنْ يَتَحَرَّى الإِحْسَانَ فِيهَا مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّبِعَ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذلكَ.

وَمَنْ تَحَرَّى الْإِحْسَانَ وَحَرَصَ عَلَيْهِ وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الْإِعَانَةَ عَلَيْهِ رُجِيَ لَهُ أَنْ يُوَفَّقَ لِلْإِحْسَانِ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَعَلُّمِ وَالْحِلْمُ بِالْتَحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّرَ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ).

وأبوابُ الإحسانِ كثيرةٌ، ففي صحيحِ مُسلمٍ من حديثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَاتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَةَ، وَلِئِذَا أَحْدَكُمُ شَفَرْتُهُ وَلِئِذَا دَبَّحْتُهُ».

فالإحسانُ مكتوبٌ على كلِّ شيءٍ، وإحسانُ كلِّ شيءٍ بحسبه، وقد بيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَا الْإِحْسَانَ فِي الدَّبْحِ، فَمَنْ خَالَفَ هَدْيَهُ فَلَمْ يُجِدْ السُّكَيْنَ وَلَمْ يُرِحْ دَبَّحْتَهُ فَلَيْسَ بِمُحْسِنٍ فِي دَبَّحِهِ.

وهذا مِمَّا يُبَيِّنُ أَهْمِيَّةَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ، فَبِهِ يَعْرِفُ طَالِبُ الْإِحْسَانِ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ؛ فَيَعْرِفُ هَدْيَهُ فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْيُيُوعِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّوْمِ وَالنِّكَاحِ وَالْمُعَاشِرَةَ وَالْبِرَّ وَالصَّلَاةَ وَمُعَامَلَةَ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْأُمُورِ.

وَلَا يُدْرِكُ الْعَبْدُ مَرْتَبَةَ الْإِحْسَانِ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَلِذَلِكَ شُرِعَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَدْعُو دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

فحاجةُ العبدِ إلى إعانةِ اللهِ تعالى له على الإحسانِ دائمةٌ مُتكررةٌ.



## الدرس السادس: بيان معنى العبادة

العبادة في اللغة هي: التذلل والخضوع والانقياد مع شدة المحبة والتعظيم. وكلُّ عملٍ يُتقربُ به إلى المعبود فهو عبادة. ولذلك فإنَّ العبادة الشرعيَّة هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

والعبادة تكونُ بالقلب واللسان والجوارح، وقد أمرَ الله تعالى بإخلاصِ العبادة له وحده لا شريك له؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. وأمرَ الله باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وأداءِ العبادة على الهدى الذي بينه لنا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ١٧]. والله تعالى لا يقبلُ عبادةً من أحدٍ إلا بتحقيقِ هذين الشرطين: الإخلاص والمتابعة.

والعبد لا يكونُ مسلماً حتى يُخلصَ الدينَ لله تعالى، ويتبعَ الرسولَ صلى الله عليه وسلم.

فمن أدَّى العبادة خالصةً لله تعالى، وصواباً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عبادةٌ صحيحةٌ، وعملٌ صالحٌ.

وقد بين الله تعالى لنا في كتابه الكريم أنه خلقنا لغاية عظيمة، وهي عبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦)

الذاريات: ٥٦.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥٥) البينة: ٥٥.

❖ فمن اجتنب الشرك وأخلص العبادة لله تعالى واتبع الرسول فهو مسلم موعودٌ بدخول الجنة والنجاة من النار.

❖ ومن أدّى العبادات الواجبة؛ فامتثل ما أوجبه الله، واجتنب ما حرّمه الله؛ فهو من عباد الله المتقين المؤمنين الذين كتب الله لهم الأمن من العذاب، ووعدهم الفضل العظيم في الدنيا والآخرة.

❖ ومن كمل العبادات الواجبة والمستحبة واجتنب المحرمات والمكروهات؛ فعبد الله كأنه يراه؛ فهو من عباد الله المحسنين الذين وعدهم الله الدرجات العلى من الجنة.

وبهذا تعلم أن ما يقدر في عبودية العبد لربه عز وجل على ثلاث

**درجات:**

**الأولى: الشرك الأكبر،** وهو عبادة غير الله عز وجل؛ فمن صرف عبادة من العبادات لغير الله عز وجل؛ فهو مشرك كافر، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، كالذين يدعون الأصنام والأولياء والأشجار والأحجار، ويذبحون لها ويسألونها قضاء الحوائج ودفع البلاء.

وهؤلاء كفار مشركون خارجون عن دين الإسلام، من مات منهم ولم يتب فهو خالد مخلد في نار جهنم والعياد بالله.

**الدرجة الثانية: الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ**، ومنه الرِّياءُ والسُّمعةُ، فُيزِينُ العبدُ عبادته من صلاةٍ وصدقةٍ وغيرها لأجلِ أَنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ مُخْلِصٍ لِلَّهِ تَعَالَى الْإِخْلَاصَ الَّذِي يَنْجُو بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَعْبُدْ غَيْرَ اللَّهِ حَقِيقَةً إِلَّا أَنَّهُ بَطَلَبَهُ ثَنَاءَ النَّاسِ وَمَدْحَهُمْ وَإِعْجَابَهُمْ قَدْ ابْتَغَى ثَوَابَ الْعِبَادَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ مُشْرِكٌ شِرْكَاً أَصْغَرَ يُحِبُّ تِلْكَ الْعِبَادَةَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ قَالَ: [أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه] رواه مسلمٌ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَلْبُ الْعَبْدِ بِالدُّنْيَا حَتَّى تَكُونَ أَكْبَرَ هَمِّهِ وَيُضَيِّعَ بِسَبَبِهَا الْوَاجِبَاتِ وَيَرْتَكِبَ الْمُحْرَمَاتِ؛ فَيَكُونُ فِي قَلْبِهِ عُبودِيَّةٌ لِلدُّنْيَا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَبِكَ فَلَا انْتَقَشَ». رواه البخاريُّ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا دَعَاءٌ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّعَاسَةِ وَالانْتِكَاسَةِ، فَكُلَّمَا قَامَ مِنْ سَقَطَةٍ وَقَعَ فِي أُخْرَى، وَإِذَا أُصِيبَ بِبَلَاءٍ لَمْ يَهْتَدِ لِلخُرُوجِ مِنْهُ، وَسَبَبُ ذَلِكَ عُبودِيَّتُهُ لِلدُّنْيَا، وَغَفَلَتُهُ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وقد بيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّابِطَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «إِذَا أُعْطِيَ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ».

فإذا كانت هَمَّةُ الْعَبْدِ لِلدُّنْيَا إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ ظَلَّ سَاخِطًا عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ مُتَبَرِّمًا مِنْهُ لَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ سَلِيمًا لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَذَا مِنْ شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا

وَأَنَّ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْحَطُونَ ﴿٥٨﴾ [التوبة: ٥٨]، فَرَضَاهُمْ لِعَبْدِ اللَّهِ وَسَخَطَهُمْ لِعَبْدِ اللَّهِ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ فَهُوَ غَيْرِ مُخْلِصٍ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَى، بَلْ فِي قَلْبِهِ عُبودِيَّةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا، وَهَذَا أَمْرٌ تُشَاهِدُ آثَارُهُ فَيَمُنُ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِمَالٍ أَوْ رِثَاةٍ أَوْ شَخْصٍ يُحِبُّهُ حَتَّى يَعْصِيَ اللَّهَ لِأَجْلِهِ؛ فَيَكُونُ فِي قَلْبِهِ رِقٌّ لِمَا أَحَبَّهُ وَتَعَلَّقَ بِهِ وَعَصَى اللَّهَ لِأَجْلِهِ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عُدَّ بِهِ.

**الدرجة الثالثة: فعلُ المعاصي**، وذلك بارتكاب بعض المحرمات أو التفريط في بعض الواجبات، وكلما عصى العبدُ ربَّه كان ذلك نقصاً في تحقيقه العبودية لله تعالى.

وَأَكْمَلُ الْعِبَادِ عُبودِيَّةً لِلَّهِ تَعَالَى أَحْسَنُهُمْ اسْتِقَامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزْلَمُونَ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [أفصلت: ٣٠ - ٣٣].

**ومدارُ عُبودِيَّةِ الْقَلْبِ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ عَظِيمَةٍ هِيَ: الْمَحَبَّةُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ.**

وَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُخْلِصَ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةَ لِلَّهِ تَعَالَى:

- فَيُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَعْظَمَ مَحَبَّةٍ، وَلَا يُشْرِكُ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ الْعَظِيمَةِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].
- وَيَخَافُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، حَتَّى يَنْزِجِرَ عَنْ فِعْلِ الْمَعَاصِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- وَيَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ وَمَغْفِرَتَهُ وَفَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ.
- وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَبْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ، بَلْ يَبْقَى جَامِعًا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].
- فَالدُّعَاءُ هُنَا يَشْمَلُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ وَدُعَاءَ الْعِبَادَةِ.
- وَمَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ تَعَالَى تَدْفَعُهُ إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْأُنْسِ بِذِكْرِهِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى مَحَبَّةٍ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَبُغْضٍ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، فَيُحَقِّقُ عُبُودِيَّةَ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ بِسَبَبِ صِدْقِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى.
  - وَخَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ يَزْجُرُهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ؛ فَيَكُونُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ حَمَلَتْهُمْ خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى اجْتِنَابِ سَبَابِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.
  - وَرَجَاؤُهُ لِلَّهِ يَحْفِزُهُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ لِمَا يَرْجُو مِنْ عَظِيمِ ثَوَابِهَا وَبَرَكَاتِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ.







## الدرس السابع: بيان معنى الكفر بالطاغوت

قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٥٦].  
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ [الزمر: ١٧].  
فاجتنابُ عبادة الطاغوت وإخلاصُ العبادة لله تعالى وحده لا شريك له هو معنى التوحيد.

ولا يكون المرء مسلماً موحداً حتى يكفر بالطاغوت. والطاغوت هو كل ما يُعبد من دون الله تعالى، سواءً أكانت عبادته بدعائه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والدَّبْح له، والنذر له، أم باتباعه في تحليل الحرام وتحريم الحلال، أم بالتحاكم إليه والرضا بحُكمه.

قال ابن جرير رحمه الله: (والصواب من القولِ عندي في "الطَّاغُوتِ" أنه كلُّ ذي طغيانٍ على الله، فعُبد من دونه، إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعةٍ ممن عبده له، وإنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء).  
**فالطاغوتُ هو:** الذي بلغ في الطغيانِ مبلغاً عظيماً فصَدَّ عن سبيلِ الله كثيراً وأضلَّ إضلالاً كبيراً.

والطاغوتُ التي تُعبد من دونِ الله تعالى كثيرةٌ، وأشهرُ أصنافِ الطواغيتِ **وأكثرُها طغياناً وصداءً عن سبيلِ الله ثلاثة:** الشيطانُ الرجيمُ، والأوثانُ التي تُعبد من دونِ الله، ومن يحكُمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ.

## الصَّنْفُ الْأَوَّلُ: الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ

وهو أصلُ كلِّ شريكٍ وطغيانٍ، بل كلُّ عبادةٍ لغيرِ الله تعالى فهي في حَقِيقَةِ الأمرِ عبادةٌ للشَّيْطَانِ؛ لأنَّه سبَّبها والداعِي لها.

قال اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ آخَذُوا الْعَهْدَ إِلَيْكُمْ يَتَّبِعُونَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ ليس: ٦٠ - ٦١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا آتِنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيتَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْهَنَهُمْ فَلْيَعْرِبْتَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ النساء: ١١٦ - ١٢١

وقد جعلَ اللهُ تعالى من عُقُوبَةِ الْمُعْرِضِينَ عن ذِكْرِهِ تَسْلِيْطَ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهِمْ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَاءَلُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَفْعَلَهُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ الزخرف: ٣٦ - ٣٩.

واجْتِنَابُ هَذَا الطَّاغُوتِ يَكُونُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَالْحَذَرِ مِنْ كَيْدِهِ، وَعَدَمِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِهِ، فَهُوَ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ الحج: ٤.

وَتَوَلَّى الشَّيْطَانُ يَكُونُ بِاتِّبَاعِ خُطُوَاتِهِ وَتَصَدِيقِ وُعودِهِ واستشراقِ أَمَانِيهِ وفِعْلِ ما يُزَيِّنُهُ مِنَ المعاصي، والإعراضِ عَنِ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ تَوَلَّى الشَّيْطَانَ.

والشَّيْطَانُ يَحْضُرُ ابْنَ آدَمَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَتَحْقِيقُ الاستعاذةِ مِنَ الشَّيْطَانِ يَكُونُ بِصِدْقِ الالتجاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّبَاعِ هُدَى اللَّهِ العاصِمِ مِنَ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ.

وَمِمَّا هَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ لِيَعْصِمَنَا مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ: تَكَرُّرُ الاستعاذةِ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، وَالإيمانُ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالإخلاصُ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالتَّعْوِذَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَحَدَّرَنَا اللَّهُ مِنَ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَفَعَلَ ما يَتَسَلَّطُ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ نَقِيضِ ما ذُكِرَ آنفًا؛ فَضَعْفُ الإيمانِ وَضَعْفُ التَّوَكُّلِ وَالإخلاصِ، وَالعَفْلَةُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّفْرِيطُ فِي التَّعْوِذَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أسبابِ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَى الإنسانِ.

وَكَذَلِكَ ما يَجِدُ بِهِ الشَّيْطَانُ عَلَى الإنسانِ مَدْخَلَ للتسلطِ عَلَيْهِ كَالغَضَبِ الشَّدِيدِ، وَالفرحِ الشَّدِيدِ، وَالانكبابِ عَلَى الشَّهَوَاتِ، وَالشُّذُوزِ عَنِ الجَماعَةِ، وَالوَحْدَةِ، وَلَا سِيَّما فِي السَّفَرِ، وَنَقْلِ الحديثِ بَيْنَ النَّاسِ، وَخَلْوَةِ الرَّجُلِ بِالمرأةِ، وَالظَّنِّ السَّيِّئِ، وَغِشْيَانِ مَوَاضِعِ الرَّيبِ.

وَشَرِعَتِ التَّسْمِيَةُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُئُونِ الإنسانِ لِحُصُولِ البَرَكَةِ وَالْحَفِظِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَيُسَمَّى العَبْدُ إِذَا أَكَلَ، وَإِذَا شَرِبَ، وَإِذَا دَخَلَ المَنْزِلَ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ، وَإِذَا أَصْبَحَ، وَإِذَا أَمْسَى، وَإِذَا رَكِبَ، وَإِذَا جَامَعَ، وَإِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ، وَإِذَا أَرَادَ النَّوْمَ.

وفي صحيح مسلمٍ من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال: «إِذَا تَتَأَبَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظُمْ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِي فِيهِ».

وفي روايةٍ لأحمدَ وعبدِ الرَّزَّاقِ: «إِذَا تَتَأَوَّبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّائِبِ».

وَمَنْ اتَّبَعَ مَا أَرْشَدَ اللهُ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى كَانَ فِي حِصْنٍ وَأَمَانٍ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ قَصَرَ وَفَرَطَ، لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَنَالَهُ شَيْءٌ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَإِيذَائِهِ وَإِغْوَائِهِ بِسَبَبِ تَفْرِيطِهِ.

الصَّنْفُ الثَّانِي: الأوثانُ التي تُعْبَدُ من دونِ الله عز وجل

وهذه الطواغيتُ أنواعٌ:

فمن الأوثان: الأصنامُ والتمائيلُ التي تُنَحَتُ على شكلِ صورٍ؛ إما صورَ رِجالٍ أو حيواناتٍ أو غيرِ ذلك؛ فمن المُشركينَ مَنْ يَزْعُمُ أنها تُنْفَعُ وتَضُرُّ، ومنهم مَنْ يَزْعُمُ أنها تَشْفَعُ لِمَنْ يَدْعُوها وَيَتَقَرَّبُ إليها بالدَّبْحِ والنَّذْرِ وسؤالِ الحَاجاتِ.

قال الله تعالى: ﴿أَعْبُدُونَ مَا نَحْنُ حُنُونٌ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥ -

٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عِزْفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عِزْفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَاللَّهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْرِينِ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٥٧].

ومن الأوثان: بعضُ الأشجارِ والأحجارِ المعظَّمةِ التي يَعتَقِدُ فيها بعضُ المُشركينَ اعتقاداتٍ كُفْرِيَّةً، فيَعتَقِدُونَ فيها النِّفْعَ والضَّرَّ وأنها تَشْفَعُ عندَ الله عز وجل لِمَنْ يَدْعُوها وَيَتَقَرَّبُ إليها.

وقد كانت الأصنام والأشجار والأحجار التي تُعبد في الجاهلية كثيرة جداً، حتى كان حول الكعبة وحدها ثلاثمائة وستون صنماً، وقد حطّمها النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة.

وكان في بعض أحياء العرب أشجار وأحجار كثيرة تُعظم وتُعبَد من دون الله عز وجل.

**ومن الأوثان:** القبور والمشاهد والأضرحة والمقامات التي تُعبَد من دون الله عز وجل، فيطاف حولها تقريباً لها، ويُذبح لها، وتُقدّم لها النذور والأموال، ويكون لبعضها سدنة وخدّام يصدّون عن سبيل الله، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويُزيّنون لهم سؤال الموتى قضاء الحاجات ودفع البلاء.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد» رواه مالك.

بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتّخاذ القبور مساجد لئلا تجرّ إلى عبادة المقبورين فيها، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصلّاهم مساجد، ألا فلا تتّخذوا القبور مساجد، فإنّي أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم.

وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: (كان آخر ما تكلم به نبي الله صلى الله عليه وسلم أن أخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب، واعلموا أنّ شرار الناس الذين يتّخذون القبور مساجد). رواه الإمام أحمد.

واتّخاذ القبور مساجد هو أن يُصلّى عليها، أو يُصلّى إليها، أو يُبنى عليها مسجد؛ فمن فعل واحدة من هذه الثلاث فقد وقع في المحذور.

ومن الأوثان: ما يرمز للشرك وعبادة غير الله عز وجل من الشعارات والتعاليق، ففي سنن الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في عنق عدي بن حاتم صلياً من ذهب فقال له: «يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن».

والمقصود أن كل ما يُعبد من دون الله عز وجل فهو طاغوت، سواء أكان صنماً أم شجراً أم حجراً أم قبراً أم غيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ؛ فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوْأغِيَةَ الطَّوْأغِيَةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا الاتباع يكون إلى نار جهنم والعياد بالله، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٩٨) لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

للأنبياء: ٩٨ - ١٠٠.

الحصب هو ما يُحصب به، أي يُحذف به.

وهذه الآيات تدلُّ على أن هذه الأوثان لا تنفع عابديها، بل تُقذف في النار يوم القيامة هي ومن عبدها من دون الله عز وجل قذفاً شديداً.

وأما من عبده من دون الله وهو لا يرضى بذلك، فليس بطاغوت، وإنما اتَّخَذَهُ المشركون إلهاً ورباً وطاغوتاً يطعون بسبب اعتقادهم فيه، وهو بريء من شركهم وطغيانهم، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَٰهَ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢١) [التوبة: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُسْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ -

- ١٠٣.]

وكذلك الأولياء الصالحون الذين عبدَهم بعضُ المشركين ظُلماً وزوراً بريئون من هذا الشرِّك.

وأما من رضي أن يُعبدَ من دونِ الله تعالى أو دَعَا إلى عبادةِ نفسه، فلا شكَّ أنه من الطواغيت، كما قال فرعونُ لقومه: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [القصص:

١٣٨.]



### الصَّنْفُ الثَّلَاثُ: مَنْ يَحْكُمُ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ

كُلُّ مَنْ كَانَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى النَّاسِ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ فَأَعْرَضَ عَنْ تَحْكِيمِ شَرْعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ، وَوَضَعَ لَهُمْ أَحْكَامًا يَحْكُمُ بِهَا عَلَيْهِمْ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ؛ فَيُجِلُّ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ؛ فَهُوَ طَاغُوتٌ يُرِيدُ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِبَادَتُهُ طَاعَتُهُ فِي تَحْلِيلِ الْحَرَامِ وَتَحْرِيمِ الْحَلَالِ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا صَحَّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ ائْتَكِدُواْ اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا

مِّنْ دُونِ اللّٰهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

قال: فقلت: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ.

قال: «أليسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُجِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَجِلُّونَهُ؟»

قلت: بلى

قال: «فتلكَ عبادتُهُم». رواه البخاريُّ في التاريخ الكبير، والترمذيُّ والطبرانيُّ،

واللفظُ له.

وقال حذيفةُ بنُ اليمانِ: (أما إنَّهم لم يُصلُّوا لهم، ولكنَّهم كانوا ما أحلُّوا لهم من حرامٍ استحلُّوه، وما حرَّموا عليهم من الحلالِ حرَّموه؛ فتلكَ رُبوبيَّتُهُم). رواه سعيدُ بنُ منصورٍ.

ومن الطواغيت: الكهَّانُ والعَرافونُ والسَّحرةُ الذين يدعونَ عِلْمَ الغيبِ ويتحاكَمُ إليهمُ الجَهلةُ الضَّلالُ.

قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ يَرْعُمُونَ اَنْهَمُ ؕ اَمَنُوْا بِمَا اُنزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ يُرِيدُوْنَ اَنْ يَتَّحِكَمُوْا اِلَى الطَّاغُوْتِ وَقَدْ اُمِرُوْا اَنْ يَكْفُرُوْا بِهٖ ؕ وَيُرِيْدُ الشَّيْطٰنُ اَنْ يَضِلَّهُمْ

ضَلٰلًا بَعِيْدًا ﴿٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهنة والعرافين والسحرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ أتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا». رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ أتَى كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا». رواه البزار.

والإغراض عن التحاكم إلى شرع الله، وطلب حكم الطواغيت هو من أعمال المنافقين الذين دهمهم الله في كتابه الكريم؛ فقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ هُمْ هَٰلِكًا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤٩﴾ أَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَاتُ مَا بَرَأُوا مِنْ آلِهَةٍ وَلِلَّهِ الْغَنِيُّ فَلَا يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَخِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِالظُّلْمِ مِنَ الْظُلْمِوتِ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور: ٤٧ - ٥٢].

**فصل:** وكل من أتبع الطاغوت فإنما يزيده أتباعه إياه ضلالاً وخساراً وظلمةً، وأما من كفر بالطاغوت وآمن بالله وأتبع هُداة فإن الله تعالى يخرجُه من الظلمات إلى النور، ويهديه سبيل السلام، ويدخله في رحمته وفضله، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلْمُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

[البقرة: ٢٥٧].

فهؤلاء الطواغيتُ يُلقونَ بأوليائِهِم في ظلماتِ الشُّركِ والجَهْلِ والضُّلالِ وحيرةِ الشُّكِّ، والعيشةِ الضَّنْكِ، وسوءِ الحالِ والمآلِ. نَسألُ اللهَ السَّلامَةَ والعافيةَ.

وأما المؤمنونَ باللهِ فإنَّ اللهَ تعالى هو وليُّهم الذي يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ فيخرِجُهُم من ظلمةِ الشُّركِ إلى نورِ التوحيدِ، ومن ذُلِّ المَعْصيةِ إلى عِزَّةِ الطاعةِ، ومن ضلالاتِ البدعِ إلى مِنهاجِ السُّنةِ، ومن حيرةِ الشُّكِّ إلى بَرْدِ اليقينِ، ويُخرِجُهُم من الضِّيْقِ والضَّنْكِ إلى السَّعةِ والانشراحِ، ومن الهَمِّ والخَوْفِ والحَزَنِ إلى الطُّمأنينةِ والأمنِ والسكينةِ، وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى، فهم كلُّ يومٍ في ازديادٍ من الخيرِ والهدى، تَرْتَفِعُ بِهِم الدرجاتُ، وتَتَضَاعَفُ لَهُم الحَسَنَاتُ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة: ٤].





## الدرس الثامن: التحذير من الشرك وبيان أنواعه

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٧٢] [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ

بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١١٦] [النساء: ١١٦].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه

وسلم: أي الذنب أعظم؟

قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ». متفق عليه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ».

رواه مسلم.

والشرك هو: عبادة غير الله تعالى، فمن دعا مع الله أحداً - دعاء مسألة أو دعاء

عبادة - فهو مشرك كافر؛ قد جعل لله شريكاً وناداً في عبادته؛ والله تعالى لا يرضى

أن يُشْرَكَ معه أحدٌ في عبادته، لا نبيُّ مُرْسَلٌ، ولا ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا غيرهما؛

فالعبادة حقٌّ لله وحده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾

[يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾

[فاطر: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ

لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فَمَنْ دَعَا مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً فَهُوَ مُشْرِكٌ.

والشُّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عَصَى اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَأَعْظَمُ الظُّلْمِ، وَهُوَ نَقْضُ لِعَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ، وَخِيَانَةٌ لِأَعْظَمِ الْأَمَانَاتِ وَأَكْبَرِ الْحُقُوقِ، وَهُوَ حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

فَلَا جَرَمَ كَانَ عِقَابُهُ أَعْظَمَ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَقَّتُ اللَّهُ وَسَخَطَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ

لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

[غافر: ١٠].

مَعَ مَا يُصِيبُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ عُقُوبَاتٍ مَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ بِسَبَبِ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ هُدَى اللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ، وَالْخَوْفِ وَالْحَزَنِ، الْحَيْرَةِ وَالشَّكِّ، وَالْإِضْطِرَابِ وَالْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ، وَإِنْ مَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا مَتَاعًا قَلِيلًا إِلَى أَجَلٍ فَهُوَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَوَبَالٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ

وَيَسَّسَ الْمُهَادُ ﴿١١٧﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ: إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ [القمان: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّسَ الْمَصِيدُ ﴿١١٦﴾

[البقرة: ١٢٦].

وأما في الآخرة فإنهم من حين قبض أرواحهم وهم في عذاب شديد مُتتابع بسبب لعنة الله لهم ؛ إذ تُنزع أرواحهم نزعاً شديداً يُعذبون به ، ويُعذبون بالفرع من هول المطلع ، ورؤية ملائكة العذاب ، ويُعذبون في قبورهم عذاباً شديداً ، ويُعذبون إذا بُعثوا بأهوال يوم القيامة وبالفرع الأكبر ، ويُعذبون بطول الموقف ودنو الشمس منهم في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ، ويُعذبون في العرصات ثم يكون مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً ، لا يُخفف عنهم من عذابها ، وما هم منها مُخرجين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١١١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة: ١٦١ - ١٦٢].

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَاتِهِمْ فِيمَاتُهُمْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (٣٧) [فاطر: ٣٦ - ٣٧].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَلَا يَجِدُونَ لِيَنَا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّمَا ضَعَّفْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعَنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٨].

ومما يدلُّ على عظيم خطر الشرك ووجوب الحذر منه ، أنَّ من أشرك بالله من بعد إسلامه حبط عمله وكان من الكافرين الخاسرين ، كأنه لم يعمل من قبل شيئاً ، فالله لا يقبل من مشركٍ عملاً .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

وقال تعالى بعد ما ذكر الأنبياء في سورة الأنعام وأثنى عليهم: ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ

وَدُرِّبَتْهُمْ وَإِحْوَانِهِمْ وَأَجْنِبْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ [الأنعام: ٨٧ - ٨٨].

فالأنبياء - على صلاحهم وشرفهم وقربهم من الله تعالى وعظيم محبته لهم

- لا يُغْفَرُ لهم الشرك بالله جل وعلا لو وقع منهم، وقد عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ

عَصَمَهُمْ مِنَ الشَّرْكِ، فغير الأنبياء أولى بهذا الحكم، وقد أَبْقَى اللَّهُ لَنَا هَذَا الْخِطَابَ

يُنْتَلَى عَلَيْنَا لِتَدْبِيرِهِ وَتَأْمَلُهُ، وَنَفْهَمُ مِنْهُ عَظِيمَ جُرْمِ الشَّرْكِ.

### والشُّرْكُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

أحدهما: الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ: وَيَكُونُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ:

أما الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ فهو: اعتقادُ شريكٍ لله تعالى في أفعاله من

الخلقِ والرِّزْقِ والمُلْكِ والتَّدْبِيرِ.

وأما الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ فهو: دُعاء غيرِ الله تعالى دُعاء مسألةٍ أو

دُعاء عِبَادَةٍ

ويكونُ الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ بِالْقَلْبِ والقولِ والعملِ.

**فمثالُ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ الْقَلْبِيِّ:** اعتقادُ أَنَّ لِلْأَوْثَانِ تَصَرُّفًا فِي الْكُونِ، وَأَنَّهَا

تَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَتَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَمَحَبَّةُ الْأَوْثَانِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهَا وَالاستعانةُ بِهَا كُلُّ ذَلِكَ



من العباداتِ القَلْبِيَّةِ التي لا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ عز وجل ، فَمَنْ صَرَفَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ تعالى فهو مُشْرِكٌ كَافِرٌ

**ومثالُ الشِّرْكِ بالقَوْلِ:** دُعاءُ الأوثانِ من دُونِ اللَّهِ ، والأقوالُ الكُفْرِيَّةُ التي يَكُونُ فيها تَعْظِيمٌ للأوثانِ ومَدْحٌ لها ، وافتراءُ الكَذِبِ على اللَّهِ.

**ومثالُ الشِّرْكِ بِعَمَلِ الجَوَارِحِ:** الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ ، والنَّذْرُ له ، والسُّجُودُ له . والشِّرْكَ الأَكْبَرُ مُخْرَجٌ عن مِلَّةِ الإسلامِ ، وَمَنْ ماتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ ، بل هو مُوجِبٌ لِسَخَطِ اللَّهِ ومَقْتِهِ والخُلُودِ في نارِ جَهَنَّمَ ، والعيادُ بِاللَّهِ.

**والقِسْمُ الأَخْر:** الشِّرْكَ الأَصْغَرُ ، وهو ما كانَ وَسِيلَةً للشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَسُمِّيَ في النُّصوصِ شِرْكَاً من غيرِ أن يَتَضَمَّنَ صَرْفاً للعبادةِ لِغَيْرِ اللَّهِ عز وجل . وَيَكُونُ بِالْقَلْبِ والقَوْلِ والعَمَلِ :

**فَمِثَالُ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ القَلْبِيِّ:** اعتقادُ السَّيِّئَةِ فيما لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ سَبَباً شَرْعاً ولا قَدراً ، كاعتقادِ نَفْعِ التَّمائمِ المُعَلَّقةِ في دَفْعِ البلاءِ ، والطَّيْرَةِ.

**ومثالُ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ العَمَلِيِّ:** الرِّياءُ بِتَحْسِينِ أداءِ الصَّلَاةِ لِطَلَبِ مَدْحِ الناسِ وإعجابهم على عبادتِهِ لِه جَل وعلا .

فهو صلى لله ، لكنه أرادَ أن يَمْدَحَهُ الناسُ على حُسْنِ صَلاتِهِ ، وربما زادَ في تحسينها لِيَزِدَّادَ الناسُ في مَدْحِهِ .

وهو شِرْكَ أَصْغَرٌ ؛ لأنَّهُ لَمْ يُخْلِصِ القَصْدَ لِلَّهِ جَل وعلا ، وليسَ بِشِرْكِ أَكْبَرٍ ؛ لأنَّهُ لَمْ يَعْبدُ غَيْرَ اللَّهِ .

**ومثالُ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ القَوْلِيِّ:** قولُ ما شاءَ اللَّهُ وشِئْتَ ، والحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ ، وقولُ : (مُطِرْنَا بِنِوَاءِ كذا وكذا).

والشُّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِيهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

### فصل: والشُّرْكُ مِنْهُ جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ

فالشُّرْكُ الْجَلِيُّ هُوَ الشُّرْكُ الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ كَدُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالذَّبْحِ لِلْأوثَانِ، وَسَائِرِ أفعالِ الشُّرْكِ وَأقواله الظَّاهِرَةِ.

والشُّرْكُ الْخَفِيُّ مِنْهُ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ فَالشُّرْكُ الْخَفِيُّ الْأَكْبَرُ هُوَ أَعْمَالُ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ الْخَفِيَّةِ؛ كَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَعَلُّقًا أَكْبَرَ بِالِاتِّجَاءِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاعْتِقَادِ النِّفْعِ وَالضَّرْرِ فِيهِ.

والشُّرْكُ الْخَفِيُّ الْأَصْغَرُ مِثَالُهُ مَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ مِنْ نَوْعٍ تَعَلَّقَ بِالدُّنْيَا حَتَّى يُوَثِّرَهَا عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ الْوَاجِبَةِ أَوْ يَرْتَكِبُ لِأَجْلِهَا بَعْضَ الْمَحْرَمَاتِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ»، فَسَمَّى التَّعَلُّقَ بِالْمَالِ عِبَادَةً لَهُ. وَمِنَ الشُّرْكِ الْخَفِيِّ مَا يَكُونُ فِيهِ تَقْدِيمُ طَاعَةِ غَيْرِ اللَّهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ؛ وَهَذَا أَدَقُّ أَنْوَاعِ الشُّرْكِ الْخَفِيِّ، وَلَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ.

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لِلشُّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشُّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِلشُّرْكِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ»

قال: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ». رواه البخاري في الأدب المفرد.

فالشركُ الخفيُّ لا يكادُ يسلمُ منه أحدٌ إلا من عصمه اللهُ؛ لأنَّ منه تقديمَ هوى النفسِ على طاعةِ اللهِ، وطاعةِ بعضِ المخلوقين في معصيةِ الخالقِ، ويكونُ ذلك في الكبائرِ والصغائرِ.

وهذا الدعاءُ النبويُّ سببٌ عظيمٌ في البراءةِ منه، وذهابِ أثره، ومغفرةِ اللهِ لصاحبه.

وتحقيقُ التوحيدِ يكونُ بإسلامِ القلبِ والوجهِ لله تعالى فتكونُ طاعتهُ لله، ومحَبَّتهُ لله، وبُغْضهُ لله، وعطاؤهُ لله، ومنعهُ لله، وبذلك يكونُ المرءُ مؤمناً مُستكملَ الإيمانِ، نسألُ اللهَ من فضله.





## الدرس التاسع: التحذير من النفاق (٣/١)

**النَّفَاقُ هو: مُخَالَفَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ، وهو على قِسْمَيْنِ:**

- نِفَاقٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.
- وَنِفَاقٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ.

- أما النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ فهو إظهارُ الإسلامِ وإِضْمَارُ الْكُفْرِ.

- وَأَمَّا النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ فهو أن يكونُ لدى العبدِ بعضُ خِصَالِ الْمُنَافِقِينَ التي لا تُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ لِدَاتِهَا كَالْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ وَخِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَالْفُجُورِ فِي الْحُصُومَةِ وَالْعَدْرِ بِالْعَهْدِ؛ وهذه الخِصَالُ سُمِّيَتْ نِفَاقًا لما فيها من مُخَادَعَةٍ وَمُخَالَفَةٍ ظَاهِرِ الشَّخْصِ لِبَاطِنِهِ.

**وَأَصْحَابُ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ الْمُخْرِجِ مِنَ الْمِلَّةِ عَلَى صِنْفَيْنِ:**

**الصَّنْفُ الْأَوَّلُ:** مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ خَدِيعَةً وَمَكْرًا لِيَكِيدَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَلِيَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّعْزِيرِ وَإِنْكَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [البقرة: ٨ - ٩].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ [المنافقون: ١ - ٢].

**الصَّنْفُ الثَّانِي:** مَنْ يَرْتَدُّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ بَارْتِكَائِهِ مَا يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ وَيُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ مَعَ إِظْهَارِهِ لِلْإِسْلَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَلِّمُ بِكُفْرِهِ وَأَسْلَاحِهِ مِنَ الدِّينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا.

وَيَكْثُرُ فِي أَهْلِ هَذَا الصَّنْفِ التَّرَدُّ وَالتَّدْبِذُ وَالشُّكُّ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِبَعْضِ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ وَيَقْعُونَ فِي أَعْمَالِ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝١٤٣﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَنَاهُونَ ۝٥٤﴾ [التوبة: ٥٤].

فوقوعهم في أعمال الكفر بالله وبرسوله مانع من قبول أعمالهم؛ فإنَّ الله تعالى لا يقبل من كافر عملاً.

وكسلهم عند القيام للصلاة وكراهتهم للإنفاق في سبيل الله دليل على أنهم لم يصدقوا بوعد الله ولم يرجوا لقاءه.

وقلة ذكرهم لله سببه أنهم يذكرون الله بألسنتهم رياءً ونفاقاً وقلوبهم غير موجهة لدين الله تعالى؛ فهم بذلك مدبذبون مترددون ليسوا كالكفار ظاهراً وباطناً، ولا من المؤمنين ظاهراً وباطناً.

قال ابن كثير: (ومنهم من يعتره الشك، فتارة يميل إلى هؤلاء، وتارة يميل إلى أولئك) ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ١٢٠]، الآية (١) هـ.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة». رواه مسلم

وفي رواية في مسند الإمام أحمد: «تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لا تدري أهذه تتبع أم هذه؟!».

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم، وبين النبي صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة أعمال المنافقين وخصالهم وعلاماتهم وعقوباتهم في الدنيا والآخرة، وأحكام معاملتهم، وما يجب على المؤمن من الحذر من النفاق والمنافقين؛ فهم ألد الأعداء وأعظمهم خطراً، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

فيجب على المؤمن أن يحذر من كيدهم ومكرهم، ويحذر من الاعتراض بما يزينون من أعمال الكفر والفسوق والعصيان، ويحذر من التخلق بأخلاقهم والاتصاف بصفاتهم.

### فصل: والمنافقون من الصنفين متفاوتون في نفاقهم فبعضهم أعظم نفاقاً

وكفراً من بعض:

- فمنهم الماردون على النفاق، وهم شديداً العداوة والكيدهم للإسلام والمسلمين، الذين يترصدون بالمسلمين الدوائر، ويسعون للفتنة بينهم وتوهمينهم، وتهويل شأن الكفار وتمكينهم؛ فلذلك يثنون الشائعات والأكاذيب والأراجيف، ويثيرون الشبهات، ويزينون الشهوات، ويشيعون الفواحش، ويؤذون المسلمين في أنفسهم وأعراضهم بطرق مكرة ومكائيد دينية، ويسعون للتضييق عليهم في أمور دينهم ودنياهم بما يستطيعون.

وَيُنْفِرُونَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُسْمُونَ مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ إِصْلَاحًا، وَيَصْفُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّفَهِّ وَالْجَهْلِ وَقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ.

وَيُنْفِرُونَ مِنْ تَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ، وَيُبْغِضُونَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ» متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَلَأَجَلٍ أَنَّ الْأَنْصَارَ نَصَرُوا الدِّينَ كَانَ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ عِلْمًا بَيِّنَةً عَلَى نِفَاقِهِ. وَيَجْمَعُ وَصَفَ أَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ.

ومن علامات هؤلاء أنهم إذا أصاب المؤمنين بلاءٌ ومحنةٌ سرَّهم ذلك وفرحوا به، وسمتوا بالمؤمنين، وإذا أصاب المؤمنين خيرٌ ونصرٌ ورفعةٌ ساءهم ذلك.

ولذلك كان من أعظم صفاتهم وأصقها بهم أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ويفضون إليهم بعورات المسلمين، ويحرضونهم على حرهم والتسلط عليهم، ويستنصرون بهم على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١١٣) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبُنْعُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١١٣﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدَّوْا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ فَالَوْ أَلَمْنَا لَكُنَّا مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَأَلَوْ أَلَمْنَا لَكُنَّا مَعَهُمْ



عَلَيْكُمْ وَنَمَنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٤١].

وهذه الأعمال المذكورة هي لأصنافٍ من المنافقين ؛ فمنهم من يَقَعُ في أكثرها، ومنهم من يَقَعُ في شيءٍ منها، وكلُّ من أظهر الإسلامَ وارْتَكَبَ ما يخرجُ به من مِلَّةِ الإسلامِ فهو مُنافِقٌ كافرٌ.

- ومن المنافقين من هو مُتَرَدِّدٌ بينَ الإسلامِ والكُفْرِ، فتارةً يَعْمَلُ أعمالَ المسلمين ظاهراً وباطناً، وتارةً يَرْتَكِبُ ما يخرجُ به من دينِ الإسلامِ، فهو مُتَدَبِّبٌ مُتَرَدِّدٌ، لم يُخْلِصْ دينَهُ لله، ولم يَثْبُتْ قَدَمُهُ في الإسلامِ، ولم يُصَدِّقْ بوَعْدِ الله. وهؤلاء يُبَيِّنُ الابتلاءَ حالَهُمْ وَيَكْشِفُ عَوَارِئَهُمْ وَنِفَاقَهُمْ، وَيُعَاقِبُونَ بِالطَّبَعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وبالرَّيْبَةِ وَالشَّكِّ وَالتَّرَدُّدِ في أحوالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وذلك لأنَّهُمْ عَرَفُوا الحَقَّ فلم يَتَّبِعُوهُ، وَعَظَّمَهُ اللهُ فلم يَسْتَجِيبُوا لِمَوَاعِظِهِ ولم يَتَّبِعُوا هُدَاهُ، ولم يكن لَدَيْهِمْ يَقِينٌ بِصِدْقِ وَعْدِ اللهِ وَعَدِ رَسُولِهِ، وَغَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمُ التَّعَامِي عَنِ هُدَى اللهِ، وإيثارُ الحياةِ الدُّنيا، واتباعُ ما تَهْوَى الأَنْفُسُ.

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٣﴾

للمنافقون: ٣.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَمَّا كَانُوا

اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ ۖ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ [النساء: ١٣٧ -

١٣٨].

وأهلُ هذا الصِّفِّ من المنافقين يَقَعُونَ في أعمالٍ كُفْرِيَّةٍ مُخْرِجَةٍ عَنِ المِلَّةِ ؛ كَمُوالاةِ الكُفَّارِ في الفِتَنِ والشَّدَائِدِ، والاستهزاءِ بالدينِ وَسَبِّ اللهِ ورسولِهِ، والتَّنْفُورِ من تَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ، وإرادةِ تَحْكِيمِ الطَّاغُوتِ، والتكذيبِ بوَعْدِ اللهِ، ونحوِ ذلك من الأعمالِ والأقوالِ والاعتقاداتِ التي تُخْرِجُ صاحبَهَا من مِلَّةِ الإسلامِ.

والعبدُ قد يَكْفُرُ بكلمةٍ يَقُولُهَا، كما قال اللهُ تعالى في المنافقين: ﴿يَخْلِفُونَ

بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٤٤]؛ فهؤلاء كفروا

بكلمةٍ قالوها بعدما كانوا مسلمين.

وقال حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي اللهُ عنه: (إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَصِيرُ مُنَافِقًا، وَإِنِّي لِأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْمَقْعَدِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ.

لتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلْتَنْهَوَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلْتَحَاضُنَّ عَلَى الْخَيْرِ، أَوْ لِيُسْحِتَنَّكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا بِعَذَابٍ، أَوْ لِيُؤْمَرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارِكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارِكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ).  
رواه أحمدُ وابنُ أبي شَيْبَةَ.

وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». رواه البخاريُّ.

وعن علقمة بنِ وقاصِّ الليثيِّ عن بلالِ بنِ الحارثِ المزنيِّ رضي اللهُ عنه أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». رواه مالكٌ في الموطأ، وأحمدُ في مُسنده، وزاد: (فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ).

وروى البيهقيُّ عن محمد بنِ عمرو بنِ علقمة بنِ وقاصِّ أنه قال: كَانَ رَجُلٌ بَطَّالٌ يَدْخُلُ عَلَى الْأُمَرَاءِ فَيُضْحِكُهُمْ، فَقَالَ لَهُ جَدِّي: (وَيْحَكَ يَا فُلَانُ، لِمَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ فَتُضْحِكُهُمْ؟! فإني سمعتُ بلالَ بنَ الحارثِ المزنيِّ صاحبَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ... فذكرَ الحديثَ.

فَخَطَرَ اللِّسَانَ عَظِيمًا، وَشَأْنُ الْكَلَامِ كَبِيرٌ، وَمَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ احْتَرَزَ فِي مَنْطِقِهِ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ التَّقْوَى؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَهَاوَنَ فِي مَنْطِقِهِ مَعَ رِقَّةِ دِيَانَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ تُوجِبُ لَهُ سَخَطَ اللَّهِ وَمَقْتَهُ، أَوْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَكْفُرُ بِهَا وَيَخْرُجُ بِهَا مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

وهذا الأمرُ يكثرُ وقوعه عندَ الفتنِ ولا سيَّما في آخِرِ الزمانِ كما في الصحيحين من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

نسألُ اللهَ السَّلامَةَ والعافيةَ، وأن يُجِيرَنَا مِنْ أَسْبَابِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.

ولذلك اشتدَّ خَوْفُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ. قال البخاريُّ في صحيحه: (قال ابنُ أبي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلِّهِمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيلَ.

وَيَذْكُرُ عَنِ الْحَسَنِ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ).

قال زيدُ بنُ وهبٍ: (ماتَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمِنَ الْقَوْمَ هُوَ؟

قال: نعم.

فقال له عُمَرُ: بِاللَّهِ مِنْهُمْ أَنَا؟

قال: لا، وَلَنْ أَخْبِرَ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ). رواه ابنُ أبي شيبَةَ.

وحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ قَدْ أَسْرَّ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَمِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ وَأَعْمَالِ النِّفَاقِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَعْرِفُونَ لَهُ قَدْرَهُ فِي ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرُ يَرْقُبُهُ إِذَا قُدِّمَتْ

جِنَازَةٌ، فَإِنْ رَأَى حُذِيفَةَ لَا يُصَلِّي عَلَيْهَا لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا، وَاسْتِنَابَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهَا،  
لثَلَا يُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



## الدرس العاشر: التحذير من النفاق (٣/٢)

وسبيلُ السلامةِ والبراءةِ من النفاقِ هو اتِّباعُ هُدَى اللهِ جلَّ وعلا، كما قال اللهُ تعالى في المنافقين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ۖ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِن لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۖ﴾ [النساء: ٦٦ - ٧٠].

وبهذا نَعْلَمُ أن المنافقين إنما حَسَبُوا الحُسْرَانَ العَظِيمَ بسببِ إِعْرَاضِهِمْ عن هُدَى اللهِ، فإنهم حَسَبُوا رِضْوَانَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ وَثَوَابَهُ العَظِيمَ وَمُرَافَقَةَ الأنبياءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَوَقَعُوا فِي شَرِّ أَعْمَالِهِمْ من تَكْذِيبِهِمْ لِهَيْبَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ، وَاتِّبَاعِهِمْ لِمَا يَسْخَطُهُ اللهُ، وَكَرَاهِيَّتِهِمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَسَعْيِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ دِينِ اللهِ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَتَوَلِّيهِمْ لِلْكَافِرِينَ من أهلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَمُظَاهَرَتِهِمْ لَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَإِيذَائِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ فَاسْتَحَقُّوا العَذَابَ الشَّدِيدَ عَلَى إِجْرَامِهِمْ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنَنَ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۖ﴾ [الفتح: ٦].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ

أَعْمَالَهُمْ ۖ﴾ [محمد: ٢٨].

وهم بسبب مخالفة ظواهرهم لبواطنهم وقَعُوا في أعمالٍ قبيحةٍ دَمِيمَةٍ، من الكَذِبِ والغَدْرِ والخِيَانَةِ والفُجُورِ وإخلافِ الوَعْدِ، وكانت هذه من أخلاقهم التي يُعَرِّفُونَ بها.

### **فَصْلٌ : وَأَعْمَالُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى صِنْفَيْنِ:**

**الصَّنْفُ الْأَوَّلُ:** أعمالٌ كُفْرِيَّةٌ مَن وَقَعَ فِيهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ جَل وَعَلَا، خَارِجٌ مِّن دِينِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ. وذلك مِثْلُ: تَكْذِيبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالبُّغْضِ وَالسَّبِّ وَالاستِهْزَاءِ بِاللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ، وَتَوَلَّى الْكَافِرِينَ وَمُنَاصَرَّتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فهذه الأعمالُ وَنَحْوُهَا هِيَ مِنْ نَوَاقِصِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ وَقَعَ فِيهَا فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ جَل وَعَلَا، بَلْ هُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ كَانَ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ فَهُوَ مُنَافِقٌ النِّفَاقَ الْأَكْبَرَ.

وهذا الصَّنْفُ يُسَمِّيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ النِّفَاقَ الْاِعْتِقَادِيَّ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ انْطَوَاءِ الْقَلْبِ عَلَى الْكُفْرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْقَلْبَ الْمُؤْمِنَ لَا تَصْدُرُ مِنْهُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ الْكُفْرِيَّةُ، وَلَيْسَ مُرَادُهُمْ حَصْرَ أَعْمَالِ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ فِي الْأُمُورِ الْاِعْتِقَادِيَّةِ.

**الصَّنْفُ الثَّانِي:** أعمالٌ وَخِصَالٌ دَمِيمَةٌ، وَهِيَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُكْفَرَةً لِّذَاتِهَا إِلَّا أَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ إِلَّا فِي الْمُنَافِقِ الْخَالِصِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْدَرَ مِنْهَا لثَلَا تَكُونَ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ، وَهِيَ الَّتِي بَيَّنَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ». متفق عليه من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

وفي رواية أحمد: «ثلاثٌ إذا كُنَّ في الرجلِ فهو المنافقُ الخالِصُ...» الحديث، بنحوه.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلةٌ منهنَّ كانت فيه خلةٌ من نفاقٍ حتى يدعها: إذا حدَّثَ كذباً، وإذا عاهدَ غدرًا، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا خاصمَ فجرًا».

فالذي يكونُ من شأنه إنه إذا حدَّثَ كذباً وإذا وعدَ أخلفَ وإذا أوثمنَ خانَ فهو منافقٌ خالِصٌ، و(إذا) غيرُ الغائيَّةِ تدلُّ على التكرارِ والكثرة، وهذا يُخرجُ من يقعُ منه شيءٌ من ذلك على وجهِ القلَّةِ والندرة، فيكونُ قد أذنبَ ذنباً وأتى عملاً من أعمالِ المنافقين، لكنَّهُ لا يصيرُ بذلك منافقاً أو صاحبَ خصلةٍ من خصالِ النفاقِ حتى يكونَ ذلك من شأنه الذي يعتاده أو يُعرفُ عنه.

### فصل: في من يكونُ في قلبه إيمانٌ ونفاقٌ

أما النفاقُ الأكبرُ فإنه لا يجتمعُ مع الإيمانِ، بل صاحبه كافرٌ بالله جل وعلا، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلمٌ؛ لأن الكفرَ مُحيطٌ لجميعِ العملِ، والإيمانُ والكفرُ الأكبرُ لا يجتمعانِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥٥﴾ المائدة: ٥٥.

وأما النفاقُ الأصغرُ الذي لا يُخرجُ من الملةِ فقد يكونُ في قلبِ المسلمِ بعضُ خصاله كما دلَّ عليه حديثُ عبد الله بن عمرو بن العاصِ المُتقدِّمِ.

وفي صحيح مسلمٍ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات ولم يغزُ، ولم يحدثْ نفسه بالغزوِ مات على شعبةٍ من النفاقِ» رواه مسلمٌ.

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : (القلوبُ أربعةُ :

- قلبٌ مُصْفَحٌ فذلك قلبُ المنافقِ.
  - وقلبٌ أَغْلَفُ فذاك قلبُ الكافرِ.
  - وقلبٌ أَجْرَدُ كأنَّ فيه سراجاً يُزهرُ فذلك قلبُ المؤمنِ.
  - وقلبٌ فيه نفاقٌ وإيمانٌ ؛ فمثلُه مثلُ فَرْحَةٍ يَمُدُّها فَيْحٌ وَدَمٌ ، ومثلُه مثلُ شَجَرَةٍ يَسْقِيها ماءٌ حَبِيثٌ وَطَيِّبٌ ؛ فأيهما غَلَبَ عليها غَلَبَ). رواه ابن أبي شيبة في المصنّف وفي كتاب الإيمان وقد صحَّحه الألبانيُّ ، وأُعلِلَ بالانقطاع ، ومعناه صحيح.
- والقلبُ المصْفَحُ هو القلبُ المائلُ.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه : (الإيمانُ يَبْدَأُ لُمُظَةً بيضاءَ في القلبِ ، كلما ازدادَ الإيمانُ ازدادت بياضاً حتى يَبْيِضَ القلبُ كلُّه ، وإن النِّفاقَ يَبْدَأُ لُمُظَةً سوداءَ في القلبِ فكلما ازدادَ النِّفاقُ ازدادت حتى يَسْوَدَ القلبُ كلُّه). رواه ابنُ أبي شيبةَ في كتاب الإيمان ، والبيهقيُّ في شعب الإيمان .  
واللُّمُظَةُ هي كالنُّقْطَةِ الصغيرةِ .

والمقصودُ أنَّ المسلمَ قد يكونُ لديه نفاقٌ يكثرُ ويقلُّ بحسبِ مَبْلَغِ إيمانه وطاعته لله جل وعلا ؛ فمنهم من يكونُ فيه شوائبٌ من نفاقٍ فَتَقَعُ منه الكَذْبَةُ والكَذْبَتانِ ويقَعُ منه إخلافُ الوَعْدِ أحياناً ونحو ذلك .

ومنهم من يكثرُ منه الوقوعُ في هذه الأعمالِ مع قِلَّةِ ذِكْرِ اللهِ وكَثْرَةِ تَجَاوُزِ حُدُودِ اللهِ بانتهاكِ الحُرْمَاتِ والتفريطِ في الواجباتِ والانتكبابِ على الشهواتِ والاعتزازِ بالشبهاتِ ؛ فيكونُ في قلبه نفاقٌ كثيرٌ وإيمانٌ قليلٌ ، حتى إن من المسلمين من لا يكادُ يُصَلِّي إلا على عَجَلَةٍ مع تأخيرِهِ للصلاةِ إلى وقتِ الكراهَةِ وإساءَتِهِ في أدائها ، كما في صحيح مسلمٍ من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى



الله عليه وسلم يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا». رواه مسلم  
فهذا ممن غلب على قلبه النفاق حتى استحق أن يسمى منافقا، مع وجود إيمان في قلبه منعه من ترك الصلاة مطلقا.

ويكثر في أهل هذا الصنف الوقوع في الرياء الأصغر والتسميع وما يحبط بعض الأعمال كالمز والأيذاء في التفقة، وطلب الدنيا بعمل الآخرة، وانتهاك الحرمات في الخلوات.

وأهل هذا الصنف على خطر عظيم أن يؤدي بهم هذا التهاون إلى الانسلاخ من دين الله عز وجل، ومن مات منهم على هذا النفاق مع وجود إيمان في قلبه؛ فإنه من أهل الكبائر المتوعدين بالعذاب الشديد، لكنه لا يخلد في النار لبقاء إسلامه، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان؛ فيخرجون منها قد اسودوا؛ فيلقون في نهر الحياة؛ فينبئون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟» رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أما من ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام كالاستهزاء بالدين وسب الله ورسوله وموالات الكفار على المسلمين فهو كافر خارج من الإسلام قد انسلخ الإيمان من قلبه، والعياد بالله.

### فصل: في توبة المنافق

إذا تاب المنافق قبل موته وأصلح عمله واعتصم بالله وأخلص دينه لله عز وجل فتوبته صحيحة مقبولة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ

يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ النساء: ١٤٥ - ١٤٧.

وكذلك المسلم الذي يكون فيه بعض خصال النفاق إذا تاب منها وترك تلك الخصلة تاب الله عليه، وبرئ من النفاق.

وفي هذه المسألة لغزٌ ظريفٌ أوردَهُ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى طَلَّابِ حَلَقَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَاضِرٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: (لَقَدْ أَنْزَلَ النَّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ خَيْرٌ مِنْكُمْ!!) فَتَبَسَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعَرَفَ مُرَادَهُ.

وقال أصحابه: سبحان الله؛ إنَّ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النساء: ١٤٥!!

ثم لما تفرَّق المجلسُ قال حُدَيْفَةُ لِلْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ وهو أحدُ أصحابِ ابنِ مَسْعُودٍ: (لَقَدْ أَنْزَلَ النَّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ، ثُمَّ تَابُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ). وفي روايةٍ فقال: (إِنَّهُمْ لَمَّا تَابُوا كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ).

وهو يقصدُ بهم بعضَ الذين كانوا منافقينَ على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ثم تابوا وأصلحوا وأحسنوا إسلامهم فكانوا بأجرِ الصُّحبةِ والجهادِ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خَيْرًا مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ. وهذه القصةُ أخرجها البخاريُّ في صحيحه.

**فصل:** وَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا يُنْجِيهِمْ مِنْ خِصَالِ النَّفَاقِ وَأَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ تَكَرُّرُ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَرِعَايَةُ حُدُودِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمُ أَمْرِهِ،

والبراءة من الشرك وأهله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصيحة لله ولرسوله  
ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ومن ذلك: محبة الجهاد في سبيل الله، وتحديث النفس بذلك.

ومن ذلك: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي  
بالصبر، والتحاضُّ على طعام المسكين والإنفاق في سبيل الله إيماناً واحتساباً.  
فمن فعل ذلك كان بريئاً من النفاق.

وفي المسند وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال: «من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن».

فمن وقع في ذنب وسأه الذنب فهو علامة على صحة إيمانه، وأرجى أن يتوب  
ويستغفر ويستغيب، ومن فرح بمعصيته وسرته سيئة كان ذلك أماراً على نفاق في  
قلبه.

وفي سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم: «خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن سمته، وفقه في  
الدين». صححه الألباني.





## الدرس الحادي عشر: التحذير من النفاق (٣/٣)

### عُقُوبَةُ الْمُنَافِقِ

جَعَلَ اللهُ تَعَالَى عُقُوبَةَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَشْنَعِ الْعُقُوبَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَزَاءً وَفَاقًا لِأَعْمَالِهِمْ:

• **فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا** فَإِنَّهُمْ يُعَاقَبُونَ بِالطَّبَعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَحِرْمَانِهِمْ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَالهُدَى، وَيُعَقِّبُهُمُ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ شُكًّا وَرِيبَةً لَا تُفَارِقُهُمْ أَبَدًا، فَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ حَيْرَةً وَتَرَدُّدًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُخَادِعُوا اللَّهَ وَيَخْدَعُوا الْمُؤْمِنِينَ، فَانْقَلَبَ خِدَاعُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَعَاقِبَةَ مَكْرِهِمْ؛ فَكَانُوا كُلَّمَا عَمِلُوا عَمَلًا لِلْكِيدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ جَعَلَ اللهُ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِمْ أَشْنَعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ؛ فَهُمْ يَسْتَرِيدُونَ مِنْ أَعْمَالِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَالْعُقُوبَاتُ تَتَضَاعَفُ وَتَسْتَرِي عَلَيْهِمْ.

قال الله تعالى: ﴿ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ بِجَنَدَتِهِمْ وَمَا كَانُوا

مُهْتَدِينَ ﴾ [١٦] مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَرَهُمْ

فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [١٧] صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٦ - ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وَخَدَعُ

اللَّهُ إِيَّاهُمْ مِنْ بَابِ مَجَازَاتِهِمْ بِجِنْسِ أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ عُقُوبَةٌ لَهُمْ عَلَى قُبْحِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ جَلِّ وَعَلَا، وَمُخَادَعَتِهِمْ لِلَّهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا، وَمُحَادَذَتِهِمْ لِلَّهِ وَمُحَارَبَتِهِمْ لِدِينِهِ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

فَهُمْ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٩]؛ فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ

يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ ؛ بَلْ يُمَنُّونَ أَنْفُسَهُمِ الْبَاطِلَةَ ، وَيَجْرُونَ وَرَاءَهَا حَتَّى تُغْرَهُمْ  
وَتَفْتِنَهُمْ ، وَيَسْتَزِيدُونَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالضَّلَالِ ، وَيَحْسَبُونَ  
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.

وهم في كل ذلك لم يضرُّوا إلا أنفسهم ، لم يضرُّوا الله شيئاً ولم يضرُّوا رسوله  
ولا المؤمنين المتبعين لهدى الله جل وعلا.

- ومِمَّا يُعَاقِبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا: أَنَّهُمْ يُعَذِّبُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ حَتَّى تَزْهَقَ  
أَنْفُسُهُمْ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَعْبُجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي  
الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٨٥].

- ومِمَّا يُعَاقِبُونَ بِهِ أَيْضًا: مَا يَجْعَلُهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مَهْمَا  
تَوَدَّدُوا إِلَيْهِمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَأَثَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى  
الْآخِرَةِ ، وَاتَّبَعُوا مَا أَسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ، وَأَعْرَضُوا عَنِ اتِّبَاعِ هُدَى اللَّهِ  
فَعَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَزَنِ وَالضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ  
أَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ هُدَاهُ.

وقال الله تعالى في طائفة منهم: ﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ

تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٠].

قال بعضُ المفسرين: ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ هذا استثناءٌ تهكميٌّ ، وهو من  
سُخْرِيَةِ اللَّهِ بِهِمْ جَزَاءً وَفَاقًا عَلَى مَكْرِهِمُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَسُخْرِيَتِهِمْ بِهِمْ ، وَكَيْدِهِمْ لَهُمْ  
لِيُشَبَّهُوا عَلَيْهِمْ وَيُضَلُّوهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ عُقُوبَتِهِمْ أَنْ ابْتَلَوْا بِالرِّيْبَةِ الَّتِي لَا  
تُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ أَبَدًا حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

هذا مع ما يُصِيبُهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْخَاصَّةِ بِبَعْضِ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ  
جَعَلَ لِبَعْضِ الدُّنُوبِ عُقُوبَاتٍ خَاصَّةً لِيَكُونَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ

تعالى في طائفة منهم: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي  
الَّذِينَ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

فكان من عقوبة سُخْرِيَتِهِم بِالْمُؤْمِنِينَ أَنْ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ جَزَاءً وَفَاءً.  
والمُتَطَوِّعُونَ يُقَعُونَ كَثِيرًا فِي الذُّنُوبِ الَّتِي يَكُونُ جَزَاؤُهَا مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا  
قَبْلَ الْآخِرَةِ، كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ أَنَّ مَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ  
مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَدَلَ مُسْلِمًا خَدَلَهُ اللَّهُ،  
وَمَنْ شَدَّدَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

والمُتَنَافِقُونَ أَصْحَابُ مَكْرٍ سَيِّئٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا  
بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

فهذا بيانٌ شَيْءٍ مِمَّا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا.

• **وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ:** فَإِنَّهُمْ إِذَا فَارَقُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ وَأُدْخِلُوا فِي قُبُورِهِمْ فَإِنَّهُمْ فِي  
عَذَابٍ عَظِيمٍ وَشَقَاءٍ دَائِمٍ وَحَسْرَةٍ لَا تَنْقَطِعُ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ،  
وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الرَّجُلِ؟  
لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ.  
فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا  
جَمِيعًا.

وَأَمَّا الْمُتَنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟  
فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.

فِيْقَالُ: لَا دَرِيْتٌ وَلَا تَلِيْتٌ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صِيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مَعَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْخَاصَّةِ عَلَى بَعْضِ الذُّنُوبِ، كَمَا صَحَّ فِي السُّنَّةِ أَنَّ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ، وَكَذَلِكَ الزُّنَاةُ وَأَكْلُو الرِّبَا وَأَهْلُ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالْكَذِبِ، وَمَانَعُوا الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلُّةِ فِطْرِهِمْ، كُلُّ أَوْلَئِكَ وَرَدَّتْ فِيهِمْ أَحَادِيثٌ صَحِيْحَةٌ بِأَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَالْمَنَافِقُونَ لَهُمُ النَّصِيْبُ الْأَوْفَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ.

• **وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ:** فَقَدْ دَلَّتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيْحَةُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَجَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْكَفَّارِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ بَقِيِ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمَنَافِقُونَ وَغُبَّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي الْمَوْقِفِ «فِيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَسْجُدُ طَائِعًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا أُذِنَ لَهُ فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً أَوْ نِفَاقًا إِلَّا صَارَ ظَهْرُهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ لِقَفَاهُ».

وَفِي الْحِسَابِ يُؤْتَى بِالْمَنَافِقِ فَيَعْرِفُهُ اللَّهُ نِعْمَةً عَلَيْهِ، فَيَقُولُ الْمَنَافِقُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَنَصَّدَقْتُ وَيُثْنِي عَلَى نَفْسِهِ بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدًا عَلَيْكَ.

فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطَلِقِي.

فَتَنْطَلِقُ فَخْذَهُ وَلَحْمَهُ وَعِظَامَهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيَعْذُرَ مِنْ نَفْسِهِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ». وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فإذا نُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَأُمِرَ بِالْعُبُورِ عَلَيْهِ، وَأُعْطِيَ مَنْ فِي الْمَوْقِفِ نُورًا عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ أُعْطِيَ الْمُنَافِقُونَ نُورًا مِثْلَهُمْ فِتْنَةً لَهُمْ؛ حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى الصِّرَاطِ طَفَعَى نُورُ الْمُنَافِقِينَ وَتَمَّ نُورُ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا لَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلذَّيْتِ ءَامَنُوا أَنْظِرْنَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكُم فتننَا أنفسكُم وترصصنَا وارتببتم وعزتنكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعزكم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماؤنكم النار هي مولاكم وبس المصير ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢ - ١٥]

وأما عذابهم في نار جهنم فهو العذاب المهين الأليم والويل المقيم، كتب الله لهم الدرك الأسفل فيها، فهم من أشد أهل النار عذاباً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

[النساء: ١٤٥].

وهم بسبب كفرهم الباطن وموالاتهم للكفار جمعهم الله بالكافرين في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

هِيَ حَسْبُهُمْ وَعَنْهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [التوبة: ١٦٨].





## الدرس الثاني عشر: نواقض الإسلام

إذا عَرَفْنَا أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا حَتَّى يَشْهَدَ الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَشَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُوحِدَ اللَّهَ وَيَتَّبِعَ الرَّسُولَ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ مُسْلِمًا.

وَعَرَفْنَا أَنَّ مُقْتَضَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ مَبْنَاهَا عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالانْقِيَادِ.

وَعَرَفْنَا أَنَّ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقْتَضِي مَحَبَّةَهُ وَتَصَدِيقَهُ وَطَاعَتَهُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ يَرْتَكِبُ مَا يَنْقُضُ هَاتِنِ الشَّهَادَتَيْنِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ كَافِرٌ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَبِرَسُولِهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَنْ يَتَنَفَّ عَنِ أَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ: (إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَالانْقِيَادِ لَهُ، وَمَحَبَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَصَدِيقِهِ وَطَاعَتِهِ)؛ فَقَدْ انْتَفَى عَنْهُ إِسْلَامُهُ.

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْإِنْتِفَاءُ أَصْلِيًّا أَيْ أَنَّ الْعَبْدَ لَمْ يَقُمْ بِمَا تَقْتَضِيهِ الشَّهَادَتَانِ فِي أَصْلِ أَمْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ أَصْلِيًّا، فَإِنْ كَانَ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ مَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُنَافِقٌ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا قَائِمًا بِمَا تَقْتَضِيهِ الشَّهَادَتَانِ ثُمَّ انْتَفَى عَنْهُ أَحَدُ هَذِهِ الْأُمُورِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَتَكُونُ الرَّدَّةُ بِكُلِّ أَمْرٍ قَوْلِيٍّ أَوْ عَمَلِيٍّ أَوْ اعْتِقَادِيٍّ يَلْزِمُ مِنْهُ انْتِفَاءُ حَقِيقَةِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وصُورُ النَّوَاقِصِ الَّتِي تُخْرِجُ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ بَعْدَ، **لكن**  
لها أصولٌ جامعةٌ هي:

**الناقضُ الأولُ: الإلحادُ**، وهو إنكارُ وجودِ اللهِ تعالى.

**ومن صورُه:**

- نِسْبَةُ الْخَلْقِ إِلَى الطَّبِيعَةِ.
- اعْتِقَادُ قَدَمِ الْعَالَمِ، وَهُوَ أَنَّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَا لَا أَوَّلَ لَهُ فِي الْأَزَلِ.

**الناقضُ الثاني: الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ**، وهو اتِّخَاذُ نَدِّ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، **وهو على**

**أنواع:**

- **النوعُ الأولُ:** شِرْكُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ صَرَفُ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ كَالدُّعَاءِ أَوْ الدَّبْحِ أَوْ النَّذْرِ أَوْ الْأَسْتِعَانَةِ أَوْ الْأَسْتِغَاثَةِ أَوْ الْأَسْتِعَاذَةِ أَوْ غَيْرِهَا؛ وَمِنْ صُورِهِ:

١: مَا يَفْعَلُهُ عِبَادُ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مِنْ دُعَائِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ، وَطَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ، وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ وَجَلْبِ النِّفَعِ وَكَشْفِ الضَّرِّ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَأَنَّهُ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَأَنَّهُ يُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَصُومُ وَيَحُجُّ وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ؛ فَالشُّرْكُ الْأَكْبَرُ مُحِيطٌ لِلْعَمَلِ مُنَافٍ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِ.

٢: مَا يَفْعَلُهُ السَّحَرَةُ وَبَعْضُ مَنْ يَأْتِيهِمْ مِنَ الدَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْأَسْتِغَاثَةِ بِالشَّيَاطِينِ.

• **النوعُ الثاني:** الشُّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْ صُورِهِ:

١: اعْتِقَادُ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ فِي آلِهَتِهِمْ وَمُعَظِّمِيهِمْ أَنَّ لَهُمْ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَيُنزِلُونَ الْغَيْثَ، وَيَمْلِكُونَ الرِّزْقَ، وَيَشْفُونَ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَيَهْبُونَ

الأولاد والأزواج والأموال، ويكشفون الضرر، ويرفعون البلاء، ويقضون الحوائج، ويجيبون دعاء من يدعُوهم.

٢: اعتقاد المجوس أن للكون خالقين: التور والظلمة.

٣: اعتقاد بعض غلاة الصوفية والشيعة أن بعض معظمتهم يعلمون الغيب، وأن لهم تصرفاً في الكون، وأنهم يجيبون الدعاء ويقضون الحوائج.

**ومن الشرك في الربوبية:** الحكم بغير ما أنزل الله، فمن حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت قد جعل نفسه شريكاً لله في حكمه.

• **النوع الثالث:** شرك الطاعة؛ وهو اتباع المعظمين في تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ كما يفعل عبادة الطواغيت من طاعتهم ومتابعتهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

### ومن صوره:

١: التحاكم إلى الطواغيت؛ فمن تحاكم إليهم مريداً مختاراً فهو كافر غير مؤمن لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْتَمُونَ نَارَ السَّمَاءِ أَن يَرْسَلْهَا سُلُوفًا زَانِقِينَ﴾. ﴿النساء: ٦٠﴾

صَلَاةً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

أما من كان في بلد لا يحكم فيه بما أنزل الله واحتاج في رفع الظلم عنه وتمكينه من حقه إلى التحاكم إلى بعض من يظن فيه حفظ الحق ورفع الظلم؛ فلا يكفر بذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما أذن لهم بالهجرة الأولى إلى الحبشة: «إِنَّ بَارِضَ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُّوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» رواه البيهقي من حديث أم سلمة بإسناد حسن.

ولم يكن النجاشي قد أسلم؛ ولو حصلت عليهم مظلمة واحتاجوا إلى التحاكم إليه فيها لأنصفهم، وهذا دليل على جواز التحاكم إلى من يعلم أن من شأنه تحري العذل ورفع الظلم كما يحصل في بعض البلدان.

والمسلم في حال الاضطرار والحاجة التي يلحق بفواتها حرج غير مرید للتحاكم إلى الطواغيت في حقيقة الأمر؛ فلا يكفر بذلك.

أما التحاكم الذي فيه تعبد لغير الله تعالى وتقديم قرايين وسؤال للكهان كما يفعل بعض الوثنيين فلا يجوز بحال.

٢: طاعة علماء السوء والحكام الطواغيت في تحليل الحرام البين حكمه في الشريعة، وتحريم الحلال البين حكمه في الشريعة. وأفراد الشرك وصوره كثيرة جدًا لكنها راجعة إلى هذه الأنواع الثلاثة.

### الناقض الثالث: ادعاء بعض خصائص الله في ربوبيته أو ألوهيته أو

أسمائه وصفاته.

#### ومن صور ذلك:

١: دعوة بعض الطواغيت إلى عبادة أنفسهم.

٢: ادعاء علم الغيب.

٣: ادعاء القدرة على إحياء الموتى.

#### الناقض الرابع: ادعاء النبوة

دعوى النبوة كفر بإجماع العلماء.

**ومِمَّا يَلْتَحِقُ بِهِ:**

• مَنْ يَدْعِي مُضَاهَاةَ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْزَلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩٣].

**الناقضُ الخامسُ: تكذيبُ الله عز وجل وتكذيبُ رسوله صلى الله عليه**

**وسلم،**

فَمَنْ كَذَّبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ كَافِرٌ غَيْرُ مُسْلِمٍ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ.

**ومن صور هذا الناقض:**

١: جَحْدُ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالضَّرُورَةِ؛ كَجَحْدِ وُجُوبِ الصَّلَاةِ أَوْ الزَّكَاةِ، وَجَحْدِ تَحْرِيمِ الرِّبَا أَوْ الزَّوْنَا أَوْ أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

٢: إنكارُ شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، بِلا شُبُهَةٍ جَهْلٍ يُعَدَّرُ بِمِثْلِهِ وَلَا تَأْوِيلٍ.

٣: إنكارُ شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٤: ادِّعَاءُ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ وَالتَّحْرِيفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٥: إنكارُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

٦: إنكارُ البَعْثِ وَالجَزَاءِ.

٧: عَدَمُ تَكْفِيرِ مَنْ لَا يَدِينُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَالتَّنَّصَارَى وَالمَجُوسِ وَالمَلَاحِدَةِ وَالمُؤَثَّنِينَ.

٨: اعتقادُ أَنَّ المَرْءَ يَسْعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ.

٩: استحلالُ المَحْرَمِ المَعْلُومِ تَحْرِيمَهُ بِالدَّلِيلِ الصَّحِيحِ بِلا شُبُهَةٍ وَلَا تَأْوِيلٍ.

١٠: تَصْدِيقٌ مَن يَدْعِي التُّبُوَّةَ.

١١: دَعْوَى أَن رِسَالَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَرَبِ خَاصَّةً.

١٢: دَعْوَى أَن اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى بِأَن يُدْعَى مِنْ دُونِهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّالِحِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ.

١٣: قَذْفُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ، وَقَذْفُ سَائِرِ

أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ.

وكلُّ ما يَتَحَقَّقُ بِهِ تَكْذِيبُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْذِيبُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّفْرِيقُ بَيْنَ تَكْذِيبِ الْخَبَرِ الْمُبْنِيِّ عَلَى عَدَمِ الْعِلْمِ بِالدَّلِيلِ أَوْ غِيَابِهِ عَنْهُ أَوْ الشَّكِّ فِي ثُبُوتِهِ أَوْ كَانَ لِلْمُكْذَبِ تَأْوِيلٌ فِي مَعْنَى الْخَبَرِ يُدْرَأُ عَنْهُ بِهِ حُكْمُ التَّكْذِيبِ، وَبَيْنَ تَكْذِيبِ مَا عُلِمَ ثُبُوتُهُ وَمَعْنَاهُ، فَهَذَا الْأَخِيرُ نَاقِضٌ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَأَمَّا فِي الْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ قَبْلَهُ فَلَا يُحْكَمُ بِكُفْرِ الْمُكْذَبِ حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَيَتَبَيَّنُ ثُبُوتُ الْخَبَرِ وَصِحَّةُ مَعْنَاهُ.

### الناقضُ السادسُ: الشُّكُّ.

الشُّكُّ مُنَافٍ لِلتَّصْدِيقِ الْوَاجِبِ، فَمَنْ شَكَّ فِي صِدْقِ خَبَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَبَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ.  
والتَّكْذِيبُ وَالشُّكُّ مُنَافِيَانِ لِلتَّصْدِيقِ الْوَاجِبِ.

### ومن صُورِ هذا الناقضِ:

١: الشُّكُّ فِي كُفْرٍ مَن لَا يَدِينُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ.

٢: الشُّكُّ فِي أَمْرِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٣: الشُّكُّ فِي ثُبُوتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحِفْظِهِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.



### الناقض السابع: بُغْضُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبُغْضُ دِينِ الْإِسْلَامِ

البُغْضُ مُنَافٍ لِلْمَحَبَّةِ الْوَاجِبَةِ؛ فَمَنْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ أَبْغَضَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

#### وَمِمَّا يَلْتَحِقُ بِهِ:

- ١: سَبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَسَبُّ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَتَنْقُصُ الدَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَتَنْقُصُ مَقَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢: بُغْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَبُّهُمْ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ وَتَكْفِيرُهُمْ بِخِلَافِ مَنْ سَبَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ لِشُبْهَةٍ عَرَضَتْ لَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ ارْتَكَبَ مُحْرَمًا وَلَكِنْ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ.
- ٣: بُغْضُ أُمَّةِ الدِّينِ وَرُوَاةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَحَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ وَتَكْذِيبُهُمْ.

### الناقض الثامن: الاستهزاءُ باللهِ وآياتهِ ورسوله، وهو كُفْرٌ لِمُنَافَاتِهِ الْمَحَبَّةِ

الوَاجِبَةِ وَالتَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ.

#### وَمِمَّا يَلْتَحِقُ بِهِ:

- ١: امْتِهَانُ الْمُصْحَفِ.
- ٢: الاسْتِخْفَافُ بِأَيِّ شَعِيرَةٍ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ.

### الناقض التاسع: اتِّخَاذُ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ يَشْمَلُ

أَمْرَيْنِ:

- ١: محبتهم في دينهم وموافقتهم عليه والرضا به.
- ٢: مناصرة الكفار على المسلمين.

## ومن صور هذا الناقض:

- ١: التَّجَسُّسُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِصَالِحِ الْكُفَّارِ.
- ٢: تَهْنِئَةُ الْكُفَّارِ بِأَعْيَادِهِمُ الْوَكُوفِيَّةِ وَالْكَفَرِيَّةِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، وَأَمَّا مَنْ شَارَكَهُمْ لِيَطْعَمَ مَعَهُمْ أَوْ يَسْتَمْتِعَ اسْتِمْتَاعًا مُحَرَّمًا بِفُسُوقِهِمْ وَغِنَائِهِمْ، وَقَلْبُهُ مِنْكَرٌ لِكُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ؛ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ وَيُخْشَى عَلَيْهِ إِذَا حَلَّتْ بِهِمْ عُقُوبَةٌ أَنْ تَشْمَلَهُ مَعَهُمْ.
- ٣: بِنَاءُ مَعَابِدَ يُعْبَدُ فِيهَا غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، أَوْ الْإِعَانَةُ عَلَيْهَا كِبْنَاءِ الْكِنَائِسِ وَالْأَذْيِرَةِ وَالْبَيْعِ وَبِنَاءِ الْأَضْرِحَةِ وَالْمَشَاهِدِ الَّتِي يُدْعَى فِيهَا غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.
- ٤: مُحَارَبَةُ حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهِمْ قَصْدًا لِلتَّضْيِيقِ عَلَى دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ.
- ٥: الْعَمَلُ عَلَى تَوْهِينِ الْمُسْلِمِينَ وَإِضْعَافِهِمْ، وَتَمْكِينِ الْكُفَّارِ مِنَ التَّسَلُّطِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

## الناقض العاشر: التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضُ.

مَنْ تَوَلَّى عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ غَيْرُ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُنْقَادٍ لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَهُوَ لَا يَمْتَثِلُ الْوَاجِبَاتِ وَلَا يَمْتَنِعُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ إِلَّا مَا وَافَقَ هَوَاهُ.

## ومن صور هذا الناقض:

- ١: أَنْ يَرَى أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَةَ رَسُولِهِ لَا تَلْزِمُهُ، وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ امْتِثَالُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢: أن يُعْرَضَ عن أمرِ الله وأمرِ رَسُوْلِهِ إِعْرَاضًا كَلِيًّا فَلَا يَتَّفَقُهُ فِي الدِّينِ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُوْلِهِ، وَلَا يَمْتَثِلُ الْوَاجِبَاتِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ طَاعَةً لِلَّهِ وَرَسُوْلِهِ.

أما مَنْ كَانَ مُلْتَمِزًا طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وَيَمْتَثِلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَبْقَى بِهِ مُسْلِمًا لَكِنَّهُ يَقَعُ فِي بَعْضِ الْمَعَاصِي فَهُوَ غَيْرُ كَافِرٍ بِتِلْكَ الْمَعَاصِي.

• **وَمِمَّا يَلْتَحِقُ بِهَذَا النَّاْقِضِ:** تَرْكُ الصَّلَاةِ؛ فَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ؛ وَإِذَا تَرَكَهَا الْعَبْدُ تَرْكًا مُطْلَقًا فَهُوَ مُعْرَضٌ عَنِ دِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: (مَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضِيعُ).

**فَصْلٌ:** وَهَذِهِ النَّوَاقِضُ تُنَافِي الشَّهَادَتَيْنِ مُنَافَاةً تَامَةً، وَمَنْ وَقَعَ فِي أَحَدِهَا بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَهُوَ عَاقِلٌ بَالِغٌ غَيْرُ مُكْرَهٍ وَلَا مَعْدُورٍ بِشَبْهَةٍ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وَمَنْ وَقَعَ فِي أَحَدِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ أَوْ بَعْضِهَا فِي الْبَاطِنِ وَهُوَ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ فَهُوَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ النَّفَاقَ الْأَكْبَرَ، نُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ، وَنُكَلِّ سَرِيرَتَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا لَمْ يَتَّبِعْ لَنَا مِنْهُ كُفْرًا ظَاهِرًا.

### **فَصْلٌ: وَالنَّوَاقِضُ عَلَى دَرَجَتَيْنِ:**

**الدرجة الأولى:** الكُفْرُ الْبَوَاحُ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَقَعُ فِي كُفْرٍ صَاحِبِهِ لَبْسٌ وَلَا اشْتِبَاطٌ وَلَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ عُدْرٌ يُعَدَّرُ بِهِ مِنْ جَهْلٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ إِكْرَاهٍ.

كَمَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَوْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَمَنْ يَسُبُّ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يَسْتَهْزِئُ بِالدِّينِ، وَمَنْ يُنْكِرُ الْقُرْآنَ أَوِ السُّنَّةَ أَوْ يَجْحَدُ مَعْلُومًا مِنَ  
الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ مَعَ ظُهُورِ حَالِهِ بِعِلْمٍ ذَلِكَ.

وأصحابُ هذه الدرجة يُحَكِّمُ بِكُفْرِهِمْ وبأنهم من أهل النار إذا تَحَقَّقْنَا أَنَّهُمْ  
مَاتُوا عَلَى ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا  
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣)

للنوبة: ١١٣.

### الدرجة الثانية: ما ليس بكفرٍ بواحٍ، وهو على نوعين:

**النوع الأول:** ما يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ مَا يُعْذَرُ بِهِ مِنْ إِكْرَاهٍ أَوْ ذَهَابِ عَقْلِ  
أَوْ شُبُهَةٍ مِنْ تَأْوِيلٍ أَوْ جَهْلِ يُعْذَرُ بِهِ وَيَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَإِنْ بَلَغَتْهُ  
الْحُجَّةُ وَعَرَفَ مَعْنَاهَا وَأَصْرًا بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ حُكْمَ كُفْرِهِ، وَإِنْ بَقِيَتِ الشُّبُهَةُ لَدَيْهِ  
لَمْ يُحَكِّمْ بِكُفْرِهِ.

ولهذا اِمْتَنَعَ أئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَنْ تَكْفِيرِ بَعْضِ أَصْحَابِ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ الْمُنْكَرَةِ  
لِبَعْضِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِشُبُهَةِ التَّأْوِيلِ، مَعَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مُبْتَدِعَةٌ وَفُسَاقٌ  
وَأَنَّ الشُّبُهَةَ لَا تُبْرِئُهُمْ مِنَ الْمَخَالَفَةِ لَكِنَّا تَمَنَعُ مِنْ تَكْفِيرِهِمْ.  
وَفِي هَذَا النَّوْعِ يُحَكِّمُ بِأَنَّ الْعَمَلَ كُفْرًا، لَكِنْ لَا يُكْفَرُ الْمَعِينُ حَتَّى تَتَحَقَّقَ فِيهِ  
الشُّرُوطُ وَتَنْتَفِي الْمَوَانِعُ.

**النوع الثاني:** أَنْ يَكُونَ النَّا قِضُ مِنَ النِّوَاقِضِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا، وَيَقَعُ لِلنَّاظِرِ فِي

ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ اللَّبْسِ وَعَدَمِ التَّرْجِيحِ.

وقد اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي بَعْضِ النِّوَاقِضِ، وَمِنْهَا:

١: **تَرَكَ الصَّلَاةَ تَهَاوُنًا وَكَسَلًا مِنْ غَيْرِ جَحْدٍ لُجُوبِهَا وَلَا اسْتِكْبَارٍ عَنْ**

**أَدَائِهَا.**

وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَنْ تَرَكَهَا مُطْلَقًا فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ كَانَ يُصَلِّي أحيانًا وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ أحيانًا فَهُوَ فَاسِقٌ مُتَوَعِّدٌ بِالْعَذَابِ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي الْفَرَائِضِ لَكِنْ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ.

**وهذا القول وسط بين قولين:**

**القول الأول:** أنه يكفر بترك صلاة واحدة.

**والقول الثاني:** أنه لا يكفر وإن تركها مطلقًا.

٢: **السحر،** وقد اختلف أهل العلم في كفر من تعلم السحر وعلمه ومن يعمل السحر، والصواب أن السحر لا يتحقق إلا بالكفر والشرك الأكبر من الاستغاثة بالشياطين والتقرب لهم بالذبح والنذر، وامتهان ما أمر الله بتعظيمه، ولا خلاف بين أهل العلم في كفر من يفعل هذه الأفعال.

لكن من أهل العلم من يسمي الحيل الخفية والخدع البصرية سحرًا، ومنهم من يعدُّ التحيل بسقي بعض العقاقير المؤثرة على عقل الإنسان ونفسه وإدراكه سحرًا، ولأجل ذلك لا يكفرون الساحر مطلقًا حتى يستفسرون عن سحره، فإن كان سحره بالاستغاثة بالشياطين والتقرب إليهم حكموا بكفره، وإن كان سحره بغير ذلك حكموا بتعزيره بما يزجره عن ذلك ولم يكفروه.

٣: **ترك الزكاة والصيام والحج،** وقد ذهب بعض أهل العلم إلى كفر من

ترك شيئًا من هذه الفرائض، وإن كان غير جاحد لوجوبها، والصواب أنه لا يحكم بكفر تاركها إلا إذا كان جاحدًا لوجوبها، فيحكم بكفره حينئذ لكونه مكذبًا لله ورسوله.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن تارك هذه الفرائض يُعذب في الآخرة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وهذا دليل على عدم تحتم كفره.

**فصل:** وبعضُ الأعمالِ المُخرِجَةِ من المِلَّةِ قد يَجْتَمِعُ فيها أكثرُ من ناقضٍ، فتكونُ كُفْرًا من أكثرَ من وجِهٍ.

مثال ذلك: الذي يحكُمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ مُستَحِلًّا ومُفضَّلًا حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ على حُكْمِ اللهِ جل وعلا.

### فهو كافرٌ من أكثرَ من وجِهٍ:

- كافرٌ بسببِ حُكْمِهِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وجَعَلَهُ نَفْسَهُ شَرِيكًا لَهِ فِي حُكْمِهِ.
- وكافرٌ بسببِ استِحلالِهِ مُحَرَّمًا مَعْلُومَ التَّحْرِيمِ بِالضَّرُورَةِ من دِينِ الإسلامِ.
- وكافرٌ بسببِ تَكْذِيبِهِ لَهِ وَلرَسُولِهِ بِتَفْضِيلِهِ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ على حُكْمِ اللهِ جل وعلا.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الكُفَّارِ والمُرْتَدِّينَ يَقَعُونَ فِي أنواعٍ من النِّواقِضِ، فيقعُ بعضُهُم في الشُّرْكِ الأكبرِ وتكذيبِ اللهِ ورسوله وبُغْضِ دِينِ الإسلامِ ومُوالاةِ الكُفَّارِ وغيرها من النِّواقِضِ، وكلُّما كانَ العبدُ أَكْثَرَ وَقوعًا في هذه النِّواقِضِ كانَ أعْظَمَ كُفْرًا، وكانَ عذابُهُ على ذلك أشدَّ، مع كَوْنِهِم مُشْتَرِكِينَ في الخُرُوجِ من دِينِ الإسلامِ.

### فصل:

**والكُفْرُ كُفْرَانٍ؛ كُفْرٌ ظَاهِرٌ، وكُفْرٌ بَاطِنٌ؛**  
**فأما الكُفْرُ الظَّاهِرُ؛** فهو ما يَظْهَرُ من أَعْمَالِ العبدِ الكُفْرِيَّةِ البَيِّنَةِ؛ فيُحَكَّمُ بِكُفْرِهِ لِمَا ظَهَرَ مِنْهُ.

**وأما الكُفْرُ البَاطِنُ** فهو ما يَتَعَلَّقُ بِهِ حَالُ العبدِ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ؛ فقد يَكُونُ كَافِرًا في البَاطِنِ بارتكابه ما يَنْقُضُ الإسلامَ، وهو فيما يَرَى النَاسُ مُظْهِرٌ للإسلامِ؛

وحيثنذ يكون مُنافِقاً يُعاملُ مُعاملةَ المسلمين في الظاهر، وهو في الآخرة مع الكفار في نار جهنم خالداً فيها.

ومن الناس من يرتكبُ ناقِضاً من النواقِضِ فيما يظهر للناسِ ويكونُ له ما يُعذرُ به من ذهابِ عقلٍ أو جهلٍ يُعذرُ بِمِثْلِهِ، أو يكونُ حَدِيثَ عَهْدٍ بالإسلامِ فَتَجْرِي على لسانِهِ بعضُ أقوالِ الكُفْرِ التي اعتادها من غيرِ أنْ يَعْتَقِدَها؛ فربَّما حُكِمَ بِكُفْرِهِ في الظاهرِ وهو في الباطنِ له ما يُعذرُ به.

وَيُبْعَثُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ.  
وَالْأَصْلُ فِي الْحُكْمِ بِالْكَفْرِ أَنَّهُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ، وَقَدْ يُخْرَجُ عَنِ الْأَصْلِ لِعَوَارِضَ تَقْتَضِيهَا الْحَاجَةُ وَتَعَلُّقِ الْعَمَلِ بِذَلِكَ.

**وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّحْذِيرُ مِنْهُ التَّسْرُعُ فِي تَكْفِيرِ مَنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ كُفْرُهُ؛** لقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وهذا التحذيرُ هو فيما يَجْرِي مَجْرَى السَّبَابِ وَالتَّسْرُعِ وَالْحُكْمِ مِنْ غَيْرِ تَأْهِلٍ، أما الْعَالِمُ الْمُجْتَهِدُ إِذَا أَخْطَأَ فِي حُكْمِهِ عِنْدَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ مُفْرَطٍ وَلَا مُتَّبِعٍ لِهَوَى؛ فَإِنَّهُ مَأْجُورٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ وَخَطْوُهُ مَغْفُورٌ.

**فَصْلٌ:** وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الْمُرْتَدِّ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» رواه البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَمَنْ مَاتَ مُرْتَدًّا فَلَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُكْفَنُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ  
الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُورَثُ مَالَهُ، وَلَا يُدْعَى لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَأَمَّا اسْتِثْنَاؤُهُ قَبْلَ قَتْلِهِ فَهِيَ مِنْ اجْتِهَادِ الْإِمَامِ، فَإِنْ كَانَ يَرْجُو رُجُوعَهُ لِلْإِسْلَامِ  
أَوْ كَانَتْ لَدَيْهِ شُبُهَةٌ عَارِضَةٌ ارْتَدَّ بِسَبَبِهَا فَلَهُ أَنْ يُمَهِّلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَعْرِضَ عَلَيْهِ الرُّجُوعَ  
لِلْإِسْلَامِ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ مُرْتَدًّا.

وَإِنْ رَأَى الْإِمَامُ أَنَّ التَّعْجِيلَ بِقَتْلِهِ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ كَأَنْ يَكُونَ شَدِيدَ  
الْإِيذَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ رِدَّتِهِ أَوْ جَاسُوسًا عَلَيْهِمْ أَوْ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ فِي إِمهَالِهِ فِتْنَةً  
وَضَرَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَجَّلَ بِقَتْلِهِ مَا لَمْ يَتَّبِقْ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ  
الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ.





## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٦	معنى الشهادتين
٧	الدرس الأول: بيان معنى شهادة أن لا إله إلا الله
١٣	الدرس الثاني: بيان معنى شهادة أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
١٩	الدرس الثالث: بيان وجوب طاعة الله ورسوله
٢٣	الدرس الرابع: بيان فضل التوحيد
٢٩	الدرس الخامس: بيان معنى دين الإسلام
٣٥	الدرس السادس: بيان معنى العبادة
٤١	الدرس السابع: بيان معنى الكفر بالطاغوت
٥٣	الدرس الثامن: التحذير من الشرك وبيان أنواعه
٦١	الدرس التاسع: التحذير من النفاق (٣/١)
٦٩	الدرس العاشر: التحذير من النفاق (٣/٢)
٧٧	الدرس الحادي عشر: التحذير من النفاق (٣/٣)
٨٣	الدرس الثاني عشر: نواقض الإسلام
٩٧	الفهرس





